
قافلة الزيت
جمادى الثانية ١٣٩٣ - يوليه ١٩٧٣



صورة تبين طابع العمران القديم في مدينة المجمعة وقد بدا في مؤخرتها أحد الأبراج التي أنشئت للحراسة .

راجع مقال "المجمعة .. فيحاء سدير»

تصوير: علي محمد خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد السادس المجلد الحادي والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة - توزع مجاناً
العنوان : صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

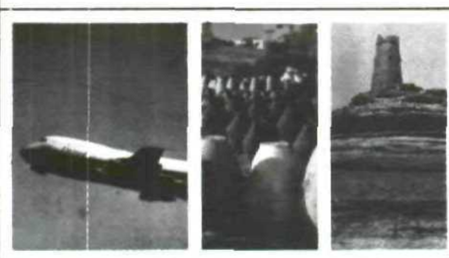
محتويات العدد

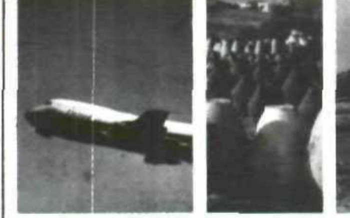


بحوث أدبية

بحوث علمية







إستطلاعات مصورة

التعليق على صورة الغلاف



جانب من مزرعة تجريبية لزراعة أنواع جديدة من القمح في المجمعة .
راجع مقال « المجمعة .. فيحاء سدير »
تصوير : علي محمد خليفة

المدير العام : فيصل محمد البسام المدير المسؤول : عبدالله صالح جمعة
رئيس التحرير : منصور مدني المحرر المساعد : عوني أبو كشك

AL-MUTAWA PRESS CO. DAMMAM SAUDI ARABIA

مَسْرَح الشِعْر

الرائج ان المسرح —ولا أقول القصصي— لم يعرف على صورة توشك أن تكون ذات طابع وقوام الا عند الإغريق في عهودهم الذهبية . أما ما قيل عن وجود المسرح عند قدماء المصريين وعند أهل الصين وأهل الهند فيبدو أنه مفتقر للحجة الشافية .. على أن الثابت أن المسرح منذ عرفه الأغريق كان مسرحا شعريا وأن الشعر كان هو وحده لغة المسرح ، وأن المسرح نشأ نشأة دينية غنائية . فالتراجديا ، وسميناها « المأساة » استمدت حياتهـا من مهرجانات الربيع عند الأغريق ، وكانت تقام آنذاك لطلب الخير والنماء. والكوميديا، وسميناها « الملهاة »، ولدت في مهرجانات الشتاء لتمثل مراحل نضرة الكروم وأثمارها .

فهذان العاملان — عامل الدين وعامل الغناء— وهما ملاك هذين النوعين من المسرحية ، اقتضيا أن يكون الشعر لغتهما دون النثر ، ذلك لأنه بنغمه واستوائه وجرسه أصلح شيء للحن والتوقيع .

ثم دار الزمن دورته . وورث الرومان حضارة الأغريق ، وورثوا كثيرا من شوامخ علمهم وفنهم وأدبهم . فكانت المسرحية الرومانية صورة للمسرحية اليونانية لغة وتناولا واتجاها . وكان الشعر أدق ما استمسك به المؤلفون الرومان اذ ذاك . وبقيت الحال على سجيتها تلك ، حتى غزت روما المسيحية ، فانفعلت المسرحيات بتعاليمها وشعائرها . وبقي الشعر أداتها لغة وتفكيرا واداء ، وظلت المسرحية والشعر رفيقي سفر واقامة حتى تنفس الصبح عن عصر النهضة والبعث العلمي بأوروبا ، وهو العصر الذي تشبث بأهداب الأدب « الكلاسيكي » واستوحى شعراؤه مادة أدبهم من ذخائر الماضي العاتق . ثم استحدثت في عصر الكلاسيكيين هؤلاء فنون مسرحية أخرى . فانفصل الرقص والغناء والموسيقى عن التمثيل ، وولدت المسرحية الغنائية « الاوبرا » والمسرحية ذات الغناء « الاوبرت » ، وخطرت قضايا الحب لأول مرة الى كل مسرحية ، فأصبحت قطب رحاها ، كما يقولون . ثم جاء عهد « الرومانسيين » في أواخر القرن الثاني عشر ، فأحدث هؤلاء أضخم تطور عرفه تاريخ الأدب في المسرحية ، فقضوا على ما عبر عنه بالوحدات الثلاث في التأليف المسرحي ، وهي وحدة الزمن ووحدة المكان ، ووحدة الموضوع . كما قضوا على الشعر لغة للمسرح .

ثم جاء العهد الواقعي — وسنلم به بعد قليل — فاختفى الشعر على صورة حاسمة أو كاد .

هذه لمحة نسوقها عن علاقة الشعر بالمسرحية منذ مولدها الى اليوم في الأدب الأعجمي . وهنا مكان لوقفة نلقي تحت هدأتها نظرة عجلى على أدبنا العربي. أعرف هذا اللون من الأدب أم لم يعرفه ؟

لم تدلف المسرحية الى الأدب العربي الا في أواخر القرن الماضي ، فلم يعرفها العرب لا في المشرق ولا في المغرب من امبراطوريتهم .. لم يعرفوها مؤلفين أو ناقدين ، وكأنهم لم يأتهم نبأها قط ، فلم يذكروها الذكر العابر في حديث أو محاضرة أو أثر .

ولقد يكون هذا مفهوما قبل عهد الترجمة عن اليونانية والسريانية في صـدر الدولة العباسية ، ولكنه في حاجة لقدر من التعليل بعد ازدهار عهد الترجمة وانبساط ظله بفضل رواده من أمثال : سرجيس ، والرهاوي ، وحنين بن اسحق ، وابنـه ، ويحيى بن عدي ، وغيرهم .

قيل أن العرب قصروا عنايتهم على علم اليونان وفلسفتهم وحكمهم ، لأن نطاق هذه العلوم قد أحسن نقلها . وقيل أن كتاب « أرسطو » في الشعر ، وهو مفتاح الدراسات الأدبية اليونانية من غير منازع ، لم يفهمه على وجهه ناقلوه الى العربية ، فترجموه غامض الفكرة ، مضطرب السياق ، فظل مستغلقا على أذهان العرب حتى على عباقرة مفكريهم ،من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد . وقيل — وهذا أصح ما قيل — أن العرب تعففوا وعافوا أن يتعاطوا هذا الأدب ، وأقصد الأدب المسرحي ، بوازع من دينهم لأنه حفيل بالوثنيات ، قائم على أرباب موهومة نزلوا منازل البشر ، وبشر رفعوا الى مقام الأرباب ، مما يتعارض أشد المعارضة وأبعدها مع الدين الاسلامي ورسالته .

ولعل من أرجح الأسباب كذلك وأدناها للصواب ما قيل من أن فطرة العرب موضوع فيها التركيز . فبلاغتهم بعد الاسلام ، وهي من وحي القرآن الكريم ، قائمة على فنون من الحذف والايجاز والاشارة والاستغناء باللمحة الدالة ، وتلك طبيعة تناقض تناقضا بينا فكرة تأليف قصة أو مسرحية . ولنا أن نسأل ما الذي يضطر الشاعر العربي الى هذا العنت كله وهو يعلم أنه بموهبة التركيز ، التي رزقها على أوسع الامداء وأثراها ، مستطيع في بيت واحد من الشعر أو بيتين أن يبعث في سامعيه قبائل من الأحاسيس والانفعالات ، أو أن يكشف لهم أفانين من طوايا النفس البشرية وخلجاتها توفي به الى ما يتطلع اليه من غاية . فاذا أودع «شكسبير» مثلا في مسرحية « عطيل » مئات من اللمسات التي تمثل جنون الغيرة ، حتى لقد اندفع الزوج الغيور فقتل زوجه ، ثم أكله الندم غير بعيد حين علم أنه قتلها في غير جرم . فان « ديك الجن » يطيف ببعض هذه المعاني أو يكاد، حين تعرض لمثل هذه التجربة قبله بمئات السنين ، اذ يقول من غير فضول أو فصول :

رويت من دمها الثرى ولطالما
روّى الهوى شفتيّ من شفتيها
حكمت سيفي في مجال خناقها
ومدامعي تجري على خديها

واذا نشط « راسين » فجمع في مسرحية « أتالي » أطراف الحقد الاسود وعرض لفلسفة الانتقام والمقت ، بالرغم من الود والصفاء المستحدث ، فان الشاعر العربي يجد مقنعا في مسرحيته التي يرسلها في بيت واحد ، فيقول :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

واذا أثار « كورني » في مسرحية « السيد » ذاك الصراع الجامح بين ما يقتضيه الحب وما يقتضيه الشرف ، فقال على لسان بطله : « ان الشرف والرجولة فوق الحب » ، فان

بقلم الاستاذ عزيز أباظة

الشاعر العربي في موقف ليس بعيد الصلة بهذا الموقف ، يقول :

ولو أني تخالفني شمالي
خلافك ما وصلت بها يميني
اذن لقطعتها ولقلت بيني
كذلك اجتوي من يجتويني

واذا تحدث « موليير » ساخرا عن بخل بخيله وتقتيره ، واستقصى ظواهر تلك النفس المريضة وبواطنها ، فان ابن الرومي يرسل في بيت واحد صورة ناطقة لبخيله لا يغض من كمال الاداء فيها انها ليست ذات فصول ومشاهد ، اذ يقول :

ولو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحد

واذا كتب الكتاب المحدثون عن الديموقراطية وحق الشعوب في حكمها والدعوة للتعاون والسلام ، فان شعراء العرب أرسلوا مسرحياتهم على طريقتهم المركزة ، فقالوا :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم اجراؤها

وقالوا :

الخالطين غنيهم بفقيرهم
حتى يصير فقيرهم كالكافي

وقالوا :

ساعد بأرض ان كنت فيها
ولا تقل انني غريب

وقالوا :

دعاني يشب الحرب بيني وبينه
فقلت له لا ، بل هلمّ الى السلم

ومن أمثال هذه المسرحيات الخاطفة طوائف نقف عليها في الشعر العربي في مختلف مراحله .

ثم مرت القرون يأخذ بعضها برقاب بعض دون أن يعنى العرب ومن جاءوا بعدهم من المتحدثين باللسان العربي بأدب المسرح ، حتى وقع في منتصف القرن الماضي أن شقت المسرحية طريقها متخاذلة الى أدب هذه الشعوب .. حتى أراد الله لهذا اللون القيم من الأدب أن يزدهر على يد شاعر العربية أحمد شوقي . وقامت على أثر ذلك ضجتان كبيرتان .. أما أولاهما فتقول أن الشعر لم يعد صالحا للمسرح ، وأيد هذا الاتجاه أستاذنا الدكتور طه حسين ، وهو يقدم لمسرحية لي اسمها « غروب الأندلس » ، وقال في نهاية مقدمته : « انني من أجل ذلك لم أفتتن بتمثيليات شوقي ، ولم أنشط لتمثيليات خليفته عزيز أباظة » .

وأرجو أن أكتفي بالرد على هذه النظرية ببراهين ساقها شاعر الانجليزية «ت.س. اليوت»وسأوردها موجزة كنقر البرقيات . قال :

— الشعر والنثر في المسرحية كلاهما وسيلة لغاية ، وما يزال الشعر أقدر على التعبير عن عواطف الانسان ونزعاته .

— ليس الفرق بين الشعر والنثر في المسرحية ضخما ، كما يظن بعض الناس ، فان النثر الفني الجزل قد يمكن اعتباره غريبا كالشعر سواء بسواء.

— عندما يرتفع الموقف المسرحي الى مشارفه من الناحية الانسانية ، فالشعر هو اللغة الوحيدة التي ترقى لهذا المستوى .

— ان الانصراف عن الشعر في المسرحية كان على الأغلب لعوامل ذاتية ، منها العجز ومنها ايثار العامية .

— ان المسرح لن يقوى على منافسة الخيالة الناطقة — السينما — الا اذا عاد الى ميزته الخاصة ، وهي الشعر .

أما الضجة الثانية فيثيرها الواقعيون باسم المحاكاة ، ونظريتهم التي لا تقبل التصالح هي أن تكون المسرحية نسخة من الحياة وصورة صادقة لما يجري فيها . وواضح أن في هذا الاتجاه مصادرة قاضية على اشراقات الفن وعلى قيمه الجمالية . ذلك لأن القاعدة السليمة ، كما يقول « ديدرو » هي : « أن الفنان لا يحاكي الطبيعة وانما يجملها » . ويقول أستاذنا العقاد ، وهو يقدم لمسرحية معاصرة لي اسمها « أوراق الخريف » : « ان الفن ، كما عهده الناس في كل الأزمنة ، انما هو تعبير وتصوير ولو كان نقلا ومحاكاة لما كانت لنا من حاجة اليه ، لأن أبصارنا وأسماعنا تغنينا عنه ، وترينا ما يراه الفنان ويسمعه بغير ما حاجة الى تأليف » .

ولكن هذه الواقعية التي تبناها بعض رجال الفكر والأدب قد تسلل لها في مصر وفي بعض البلاد العربية — مع بالغ الأسف — نفر ربطوا أنفسهم بها ، وصدوا عن مختلف وجوهها ، الا وجها واحدا احتشدوا له وتظافروا عليه ، وهو محاربة اللغة العربية ومحاولة الغض منها والالواء بها ، قالوا بادىء ذي بدء أن المسرحية لا تكتب شعرا ، ثم ثنوا فقالوا والشعر أيضا ينبغي أن يتخفف من القافية ، ثم تلبثوا قليلا فتداعوا وقالوا ليتخفف الشعر من الوزن . ثم تقدموا بعد ذلك خطوة أخرى ، فقالوا وما التراكيب الفصيحة ، وما الأسلوب الشريف ؟ الكلام بغيرها أبين والفهم أوفى وأيسر . ثم برزوا مسفرين مسرفين مجاهرين ، فدعا فريق منهم الى اخلاط من التعابير المتهافتة من الشعر المنثور والنثر المشعور يقيمونه — باسم العجز — على أنقاض الشعر الأصيل . ودعا فريق آخر الى العامية يكتب الناس بها قصصهم ومسرحياتهم باسم التقدمية أو الشعوبية على أنقاض تلك الذخيرة الربانية من النثر العربي المحكم ، وساقوها دعوة أدبية فنية ، وهي دعوة تكمن وراءها نفوس سقيمة عطاش لهدم كل ما هومأثور من تراث العصور وتدمير كل قيم من ذخائر الحضارات التي هذبها الزمن وأغلاها العتق .

ولنرجع لموضوعنا بعد هذا الاستطراد فنختتم هذه الكلمة عن مسرح الشعر بقول ناقد عالمي كبير : « ان المتنفس المثالي للشعر هو المسرح . ففي شعر المسرح نصيب موفور لمستمعيه كافة ، لبسطائهم القصة ، ولمن هم أكثر ثقافة تلك التعبيرات الجزلة التي يتميز بها الشعر ، ولأولئك الذين برزوا الحساسية الموسيقية القالب والوزن والايقاع ، ولأولئك الذين صفت نفوسهم وتألفت عقولهم كل هذه العوامل مجتمعة ، وهي عوامل من شأنها أن ترفع الى أسمى المشارف معنويات الناس وأخلاق الناس ، وجمال الدنيا . » ■

عزيز أباظة — القاهرة

المجمعة
فَيْحَاءُ سُدَيْرْ



سعادة امير منطقة سدير
محمد العبدالله السديري

« شارع الملك الفيصل » الشارع الرئيسي الذي يشق المجمعة من وسطها .

جانب من مباني مدينة المجمعة وقد بدت في المقدمة بعض أشجار النخيل النضرة ..

إلى الشمال الغربي من الرياض
بعد نحو مائتين وعشرين
كيلومترًا منها، وفوق رُبى
ضراء تعانق وادي المشقر
مرع الذي تنتشر فيه
اتين النخيل كالعقد المنظوم،
تربّع مدينة ناهضة تجمع
ين مآثر الماضي العريق
حاسن الحاضر المشرق..
لك هي مدينة المجمعة
ضرة "سدير".

سدير في التاريخ

يعد المؤرخون منطقة سدير قسما من اقليم « اليمامة » المعروف ، وهي تؤلف الجزء الأوسط من هضبة نجد الشمالية ، وهي أشبه بمستطيل مائل يمتد من قرى العشيرة والعودة وتمير جنوبا شرقا الى ما وراء الزلفي شمالا غربا ، ومن حافة الدهناء شرقا الى نفود الثويرات الممتدة على طول الحافة الغربية من الجزء الشمالي من جبل طويق غربا . والسدير في المعاجم اللغوية ترد بلفظ تصغير « سدر » بمعنى العشب الوافر والماء الغامر . ويقال أيضا « سدير النخل » أي مجتمعه . وكلها معان تدل على وفرة المياه والكلأ والأشجار . وتشير المصادر التاريخية الى أن أشهر القبائل العربية القديمة التي استقرت في هذه المنطقة هي قبيلة بني تميم وفروعها من بني العنبر وبني منقر وبني العدوية . ولا يزال أبناء هذه القبيلة يؤلفون الجزء الأكبر من سكانها الى جانب بعض القبائل الأخرى مثل مطير والدواسر وسبيع والسهول . وفي ذكر سدير قال الحفصي : «ذو سدير قرية لبني العنبر» . وقال نابغة بني شيبان :

أرى البنانة أقْوت بعد ساكنها
فذا سديرٌ وأقوى منهم أقُر

وذكرها الشاعر عمرو بن الأهتم التميمي المنقري فقال:

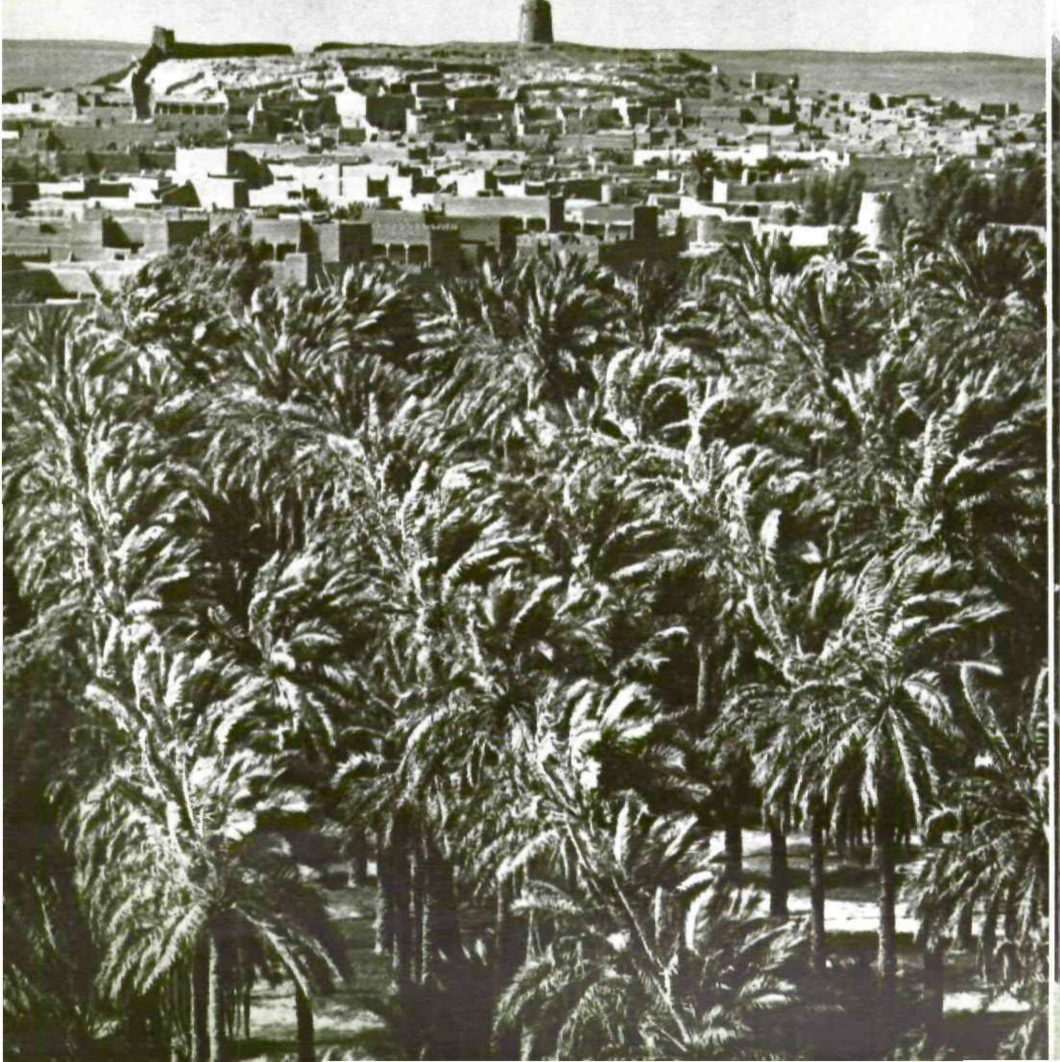
وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم
يقولون لا تجهل ولست بجهالٍ

فقلت لهم عهدي بزينبَ ترتعي
منازلها من ذي سُدَيْر فذي ضال

ومنطقة سدير تعرضت عبر تاريخها الطويل للأحداث التي ألمت باقليم اليمامة عامة ، فلما قضى خالد بن الوليد على كذاب اليمامة « مسيلمة » ، الذي ادعى النبوة واثار الفتن فيها ، ولّى عليها « سمرة ابن عمرو العنبري » من بني تميم . وراحت المنطقة بأسرها ، بعد تلك الأحداث تذب عن حياض الاسلام بقوة وايمان وتشارك في الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية .

سدير ذات الرياض الغنّاء

يذهب العديد من المؤرخين الذين عنوا بتاريخ الجزيرة العربية الى القول بأن ربوع نجد كانت حتى القرن السادس الميلادي ذات أشجار وغابات كثيفة ، وخاصة في منطقة سدير المتاخمة للجزء الشمالي من جبل طويق من جهته الشرقية . ويعود ذلك الى غزارة الأمطار التي كانت تهطل على هذه البقعة من نجد في تلك الحقب البعيدة ، فتتدفق المياه من شعاب جبل طويق ، وتغذي الأودية بالسيول الجارفة ، فتتكون الغدران ، وتونع الرياض ، ويخضل الثرى ، وتتشح الهضاب والبطاح والسهول بأردية خضر موشاة بزهور الأقحوان والخزامى والشيح والقيصوم ، ترتع فيها الابل والأنعام . ويؤكد ما ذهب اليه المؤرخون ما ورد على ألسنة شعراء العصر الجاهلي وصدر الاسلام





أمثال امرئ القيس ، والنابغة الشيباني عبد الله ابن المخارق ، وذي الرمة غيلان بن عقبة ، وجرير ، والحطيئة ، وعمرو بن الأهتم ، وغيرهم ممن خلد شعرهم أسماء بقاع كثيرة في منطقة سدير ، كانت يوما مسرحا حافلا لغدواتهم وروحاتهم وحلهم وترحالهم ولم يلبث ان أخذ مقياس الأمطار في الهبوط تدريجيا وراحت المنطقة تتعرض لموجات من الجدب ونضوب المياه ، ولا سيما في مطلع هذا القرن ، الأمر الذي نتج عنه هجرات سكانية متتالية الى مناطق أخرى من المملكة العربية السعودية ، بل والى بلدان عربية مجاورة . وهذا ما يبرر الآن وجود جاليات كبيرة من أبناء المجمعة وقرى سدير في الرياض وفي مدن المنطقة الشرقية كالدمام والخبر والجبيل والأحساء ، وفي الكويت ، والزبير والبصرة في العراق . غير أن هذه الظاهرة لم تستمر طويلا ، فقد قامت حكومة المملكة العربية السعودية بانشاء السدود ، وشق الطرق وفتح المدارس والمعاهد ، وغيرها من المرافق الحيوية .

تمتاز منطقة سدير ، وخاصة قيعان الأودية والسهول الممتدة على ضفافها ، بتربة رملية صفراء ناعمة يغمرها الطمي الذي تجرفه السيول المنحدرة من جبل طويق ، مما جعلها من أخصب الأراضي الصالحة لزراعة النخيل والحبوب والخضراوات وأشجار الفاكهة على اختلاف أنواعها . ولهذا السبب نجد أن منطقة سدير غاصة اليوم بالقرى العامرة في بطون الأودية العديدة وروافدها. ومن أشهر هذه الأودية : وادي المشقر الذي تقع عليه مدينة المجمعة ، وهو معروف أيضا باسم « وادي النمل » . ويعتقد البعض من سكان المنطقة أن النبي سليمان ، عليه السلام ، مر وجنوده بهذا الوادي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة « النمل » .

ويرفد وادي المشقر في انحداره من جبل طويق روافد لا تحصى ، منها : شعيب « أشي » وفيه قرية « أشي » ، ويلفظها أهل المنطقة « وشي » ، وهو تصغير الاشاء بمعنى صغار النخل ، وواحدتها اشاءة ، وهي قرية قديمة مشهورة بجودة نخيلها وطيب هوائها ، وتبعد عن مدينة المجمعة نحو ١٥ كيلومترا غربا جنوبا . وقد أكثر الشعراء من ذكرها ، فهذا « زياد بن منقذ » الذي طوحت به النوى في صنعاء يحن الى مرابع اشي الفاتنة ، فيقول :

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد
ولا شعوب هوى مني ولا نقم
وحبذا حين تمسي الريح باردة
وادي اشي وفتيان به هضم

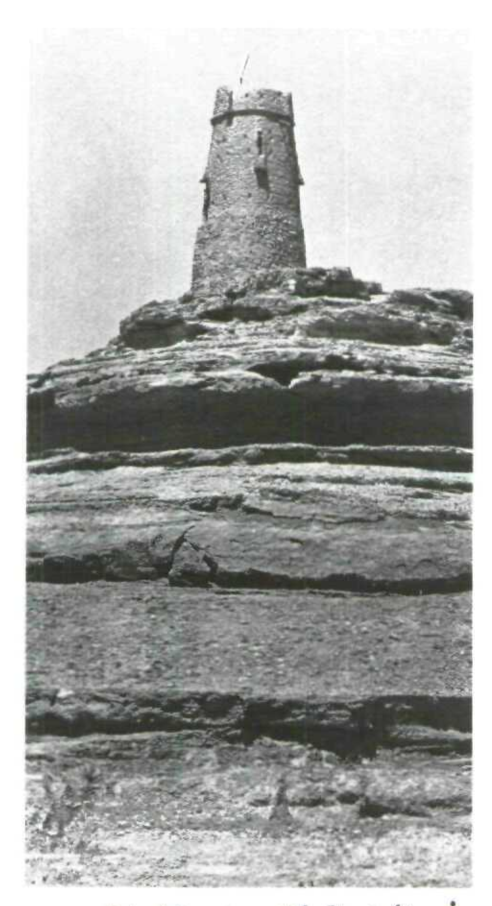
ومن روافد وادي المشقر فيما بين السد ومدينة المجمعة ، وهي مسافة سبعة كيلومترات : ظفنان والزّيّة والشعيبة والمعيذر . ويلتقي بوادي المشقر عند المجمعة من الناحية الشمالية واد يقال له الكلب ، ويدعوه بعضهم « وادي الكلبي » وهو يسيل قرية « حرمة » الواقعة على بعد كيلومترين من المجمعة ، ويفصلهما الطريق المعبد الرئيسي المتجه نحو مدينة الزلفي. وعند ملتقى وادي الكلب ووادي المشقر يتسع المجرى ، لذا انشئ فوقه جسر ضخم طوله ١٨٠ مترا يمر عليه الطريق المعبد. وقرية « حرمة » ، كما يذكر أمين الريحاني في « تاريخ نجد الحديث » من أكبر وأقدم بلدان سدير. فقد عمرها سنة ٧٧٠هـ ابراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي بعد انتقاله اليها من بلدة « التويم » ، احدى قرى سدير المشهورة التي تقع على الخط المعبد ، وتبعد عن « حرمة » ٣٨ كيلومترا جنوبا شرقا .وفي تعليل اسم « حرمة » أخبرنا الشيخ عبدالمحسن بن فهد بن مدلج ، أحد أحفاد مؤسسي القرية ، أن فيها قليب ماء يسمى « جبرة » ، كان أهل القرية في سنوات الجدب يحرّمون ماءه على الأعداء فسميت القرية «حرمة». بيد أن مصادر أخرى تشير الى أن اسم القرية هو « حرم » بفتح الراء أو ضمها ، كما في قول ابن مقبل :

حي دار الحي لا دار بهـا
بـاثـال فـخـال فـحـرم

وهناك بعض المؤرخين الذين ذكروا أن مسيلمة الكذاب جعل فيها حرما على غرار الحرم المكي ، شرفه الله . ومهما يكن من أمر فان حرمة تمتاز بموقع جميل تحف به بساتين النخيل وأشجار الفاكهة والكروم التي تغنى بها ابن حرمة الأديب الشاعر «عبد الله بن ادريس» الذي تنسم عبير الحياة على ثراها ، فيقول :

بحرمة واحات من الكرم جمة
ونخل ورمان يزيد على العد

ونغادر حرمة ونتجه جنوبا على الطريق المعبد لنقف على وادي جوى والحاير ، وهما قريتان يكثر حولهما النخيل والمزارع . وينحدر هذا الوادي من جبل طويق ويصب في روضة الحاير ، سميت كذلك لأنها أشبه بحوض يصب فيه ماء السيل فيتحير فيه ، ثم يهبط نحو قرية جُويّ ليتجه شرقا ويفيض في حمادة جبل مُجزّل .



أحد الأبراج التي كانت مخصصة للحراسة ، وهي تنتشر في كثير من قرى ومدن منطقة سدير .

ونواصل السير جنوبا شرقا لنأتي الى وادي « أبي المياه » المعروف قديما باسم « وادي المياه » ، وهو يسقي نخيل ومزارع قرى كثيرة في منطقة سدير منها جلاجل والتويم والخطامة وعشيرة . ووادي المياه من الأودية المشهورة في اليمامة ، ذكره الحفصي اذ قال : وأول ما يسقي جلاجل وادي المياه ، الذي يقول فيه الراعي :

ردوا الجمال وقالوا ان موعدكم
« وادي المياه » واحساء به برد
واستقبلت سربهم هيف يمانية
هاجت تراعي وحاد خلفهم غرد

وقال عبد الله بن الدمينة يعرض ببنت عم له :

الا يا حمى « وادي المياه » قتلتني
أباحك لي قبل الممات مبيح
رأيتك غض النبت مرتطب الثرى
يحوطك شجاع عليك شحيح

وبعد أن تسقي مياه هذا الوادي المزارع والبساتين في تلك القرى يتجه جنوبا شرقا حيث يلتقي مع « وادي سدير » قرب قارة « خزة » جنوب جبل مجزّل ليفيض بعدها في أرض يقال لها « الملتهبة » .

واذا ما واصلنا السير على الطريق المعبد نقف عند مدينة « الروضة » ذات البساتين الغناء التي يرويها « وادي سدير » الذي أطلق اسمه على المنطقة بأسرها . وعلى ضفاف هذا الوادي تنتشر القرى الزراعية التي راحت تخطو خطوات حثيثة في معارج التقدم والازدهار بفضل شبكة الطرق الزراعية التي تربطها بالطريق الرئيسي لتصريف محاصيلها الوافرة من الخضار والحبوب والتمر في الأسواق الاستهلاكية في الرياض وغيرها من مدن المملكة . والقرى التي يسيلها وادي سدير هي الروضة والداخلة والحصون والحوطة ومقبلة والجنوبية والعطار والجنيفي والعودة . ووادي سدير معروف قديما باسم وادي « الفقي» وهو مشتق من الفقء بمعنى الحفرة في الجبل . ويلفظ أحيانا بلفظ التصغير فيقال « الفقي » ، فهذا القتال الشاعر يقول :

يا أمّ أعينَ شادنٍ خذلت لـه
عينـاء فاضحـة بهـا ترقيـم
بنقا الفقي تـلألأت فحطـا لها
طفـل نداد ما يكـاد يقـوم

والى الجنوب من وادي سدير نأتي الى وادي « أراط » الذي يفيض في وادي العتك ، وقد ذكره عمرو ابن كلثوم في معلقته المشهورة اذ يقول :

ونحن الحابسون بذي أراطى
تسفّ الجلة الخورُ الدّرينا

والقرى المحيطة بمدينة المجمعة كثيرة ، فاذا ما اتجهنا غربا وجدنا العلاوة والفشخة والكلبي ، ووشي ، وأم الشرى ، والفروثي ، وفريثان ، والخيس والعمار ، وحطابة التي يقول فيها جرير :

لما أتينا على حطابتي يسر
أبدى الهوى من ضمير القلب تحزينا

فشبــه القوم اطــلالا بأسنمــة
ريش الحمام فزدن القلب تحزينــا

والرّويْضة بلد الشعراء ، والجو ، والشعيبة ، وجريفة ، والصوح ، والداهنة ، وأم العصافير ، وظلما ، وظفنان ، والمنيهيج ، وأم شداد ، والطحيَّة التي يعتقد أنها بلد الشاعر المخضرم « الحطيئة » وفيها بئر تسمى بئر الحطيئة . ويرى الأستاذ ابراهيم أحمد العمر ، المدرس في معهد المجمعة العلمي ، ان اسم القرية أصابه شيء من التحريف اللفظي ، وأن المكان بموقعه بين شعاب ضيقة بعيدة عن أعين الناس لينطبق على ما كان يتمتع به الحطيئة من بخل. ونستدل من شعر الحطيئة أنه نزل في وادي مرخ شرقي مدينة الزلفي . فعندما هجا الحطيئة «الزبرقان بن بدر» هجاء مقذعا حبسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجعله في نقير في بئر ، فقال الحطيئة مستعطفا الخليفة :

مــاذا تقــول لأفراخ بذي مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعــر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

حتى يقول :

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم
بين الأباطح تغشاهم بها القرر
أهلي فداؤك كم بيني وبينهــم
من عرض داوية تعمى بها الخبر

وقيل أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، بكي لما سمع ما قاله الحطيئة ، حتى أن عمروا ابن العاص قال : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ، أعدل من رجل يبكي على تركه الحطيئة . ثم أطلق عمر سراح الحطيئة بعد أن أخذ عليه عهدا بألا يهجو أحدا .

أما القرى الواقعة شمالي المجمعة فأشهرها الغاط ، وأصل الاسم « لغاط » وهي مشهورة بأنها موطن أسرة السدارى التي تربطها بأسرة آل سعود المالكة أواصر المصاهرة قديما وحديثا . والغاط ، كما يذكر الأستاذ محمد بن بليهد في كتابه « صحيح الأخبار » : بلد قديمة جاهلية واقعة في سفح جبل اليمامة في غربيه . وقال أبو محمد الأسود : « لغاط » واد لبني ضبة . أما محمد بن ادريس بن أبي حفصة اليمامي فقال : « لغاط » لبني مبذول وبني العنبر من أرض اليمامة ، وأنشد لعمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير يصف وادي الغاط :

فــأطــم ذا مــرخ فبــات يكبه
فيمــا اطمأن في الكثيب تونّــب
وعــلا لغــاط فبات يلغــط سيله
ويثج في لبب الكثيب ويصخب

وحول قرية الغاط سهول زراعية منها الحمادة ذات البساتين اليانعة والمزارع التجريبية لادخال زراعة أشجار الفاكهة كالعنب والمشمش والتفاح والخوخ واللوز والكمثرى . ثم هناك قرى الوسيعة ومليح وعضيدان والمرقوبة والقلته ذات العين الجارية طوال العام ، والابداع ، وجراب .

واذا ما اتجهنا من المجمعة جنوبا شرقا مررنا بقرى ومدن كثيرة منها : النزية ، وفريهيدة ،

العقل السليم في الجسم السليم ، طلاب المدارس أثناء الرياضة البدنية .



روض الخفيسة حيث الماء والخضراء ، وتبدو هنا قطعان الغنم تمرح في مراعيه الممرعة .



الجزر ، من أنواع الخضار التي أخذت زراعتها تنتشر في المنطقة بعد بناء سد المجمعة .

والحاير ، والعطينة ، وسفيلة الحاير ، والخويش ، والمعيذر ، ومعاوية ، والشعيبة ، وجوى ، وجلاجل ، ووسيطا جلاجل ، وقري ابن سلمان ، والتويم ، وقري التويم ، وعود التويم ، وفيصلية التويم ، والداخلة، والروضة، وخفية، والمعشبة، ووسيطا الحوطة، والحوطة ، والخطامة ، وعشيرة ، والجنوبية ، ومقبلة والعطار ، والجنيفي ، والعودة ، وقري العودة ، وتمير ، ووسيعة تمير ، وتميرية ، وبوضاء ، ومبايض ، والشعب ، وباخسيفة ، ورويغب ، وأم رجوم ، وأم عشر .

واذا ما وليت وجهك شرقا شمالا شطر الدهناء فالمدينة الرئيسية التي تستوقفك في تلك الناحية هي الأرطاوية على بعد نحو ٨٠ كيلومترا من المجمعة ، سميت كذلك لكثرة شجر « الأرطى » حولها وهو شبيه بالغضا . وهي أول هجرة أسسها المغفور له الملك عبد العزيز لقبيلة مطير عام ١٣٣٠هـ ، وهي اليوم مدينة عامرة بحكم موقعها على الطريق الرئيسية بين الكويت والمجمعة . وحول الأرطاوية ، بضع قرى صغيرة منها: القاعية المشهورة بعذوبة مائها وبرودته، وأم الجماجم ، والبتيرة ، والفلج ، وحويمضة ، وغيانة ، ووجو العود .

المجمعة بين القديم والحديث

خطت مدينة المجمعة خلال السنوات القليلة الفائتة خطوات حثيثة في مختلف الميادين والمجالات انعكست أبعادها على الحركات العمرانية والتجارية والتعليمية . فبعد سبات عميق استيقظت المدينة لتشهد انبلاج صبح جديد قوامه شوارع فسيحة تحفها الأشجار الوارفة ، وأنوار متلألئة ، وأسواق حديثة ، ومحلات تجارية غاصة بالسلع والكماليات ، ومدارس حديثة ومستشفيات وغير ذلك من المرافق الحيوية .

وعلى صعيد القطاع الأهلي ، نجد أن أبناء المجمعة لا يألون جهدا لتطوير مدينتهم ، اذ تكونت فيها نواد رياضية ثقافية اجتماعية تسهم بالتعاون مع القطاع الرسمي في كل ما من شأنه النهوض بالمجمعة، ويظهر ذلك جليا في تنظيم حملات التوعية الصحية والاجتماعية وفي تنسيق وتخطيط ميادين البلدة وحدائقها ومرافقها العامة. ومن ناحية أخرى، فقد تأسست عام ١٣٩٢هـ جمعية تعاونية زراعية يرأسها سعادة أمير المجمعة « محمد العبد الله السديري » هدفها توفير الخدمات والآليات والأسمدة للمزارعين بالتعاون مع مديرية الشؤون الزراعية للنهوض بمستوى الزراعة في المنطقة .

المجمعة في التاريخ

يحدثنا المؤرخ ابراهيم بن صالح بن عيسى في كتابه « تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد » أنه في سنة ٨٢٠هـ عمر عبد الله الشمري من آل مبيار من عبدة من شمر ، بلد المجمعة . وكان عبدالله الشمري في حاشية حسين بن مدلج بن حسين رئيس بلدة «التويم» ، فلما مات حسين، قدم عبدالله الشمري



أحد رجال المجمعة يعكف على اعداد القهوة العربية وحرق بخور «العودة» لاكرام ضيوفه .

على ابنه ابراهيم بن حسين في بلد « حرمة » ، فطلب منه قطعة أرض ينزلها ويغرسها هو وأولاده ، فأشار أولاد ابراهيم على أبيهم أن يجعله في أعلا الوادي ، يحول بينهم وبين سعة الفلاة والمرعى ، فأعطاه موضع بلد المجمعة . ولم يلبث ابراهيم وأولاده أن أشاروا على « الشمري » أن ينتقل الى شمالي « حرمة » ففعل. ولما كان ذلك الموضع الذي انتقل اليه واقعا على طريق « الحدْرات » (١) ، وهو طريق كان يعتبر في تلك الحقبة مصدر خير لمن يسيطر عليه ، طلب ابراهيم من الشمري أن يعود الى مكانه الأول ، فاستقر هناك ، وأخذ غيره من الناس يفدون الى المكان ، منهم جد التواجر من عنزة وهي العائلة المعروفة ، وجد الثماري ، وجد الربيعة وغيرهم . فتجمع أناس كثيرون في ذلك الموضع وعمروه وغرسوه فسمي لذلك « المجمعة » . ويحدثنا الشيخ محمد التويجري أن البلدة القديمة « الديرة » كانت محاطة بسور ضخم عليه ست بوابات « دراويز » كبيرة هي : حويزة ، والرميلة ، والقنطرة ، والنقبة ، والبر ، والجديد ، وكانت تغلق بعيد غروب الشمس ، وتبقى العين الساهرة في « قلعة منيخ » السامقة القائمة على جبل في الناحية الجنوبية الغربية منها ، وهي القلعة التي فرضت اسمها على البلدة حتى كان يقال للمجمعة وحرمة معا « منيخ » . ويعلل بعضهم هذا الاسم بقوله

فانك تشاهد المروج الخضر والسهول الفيحاء والروابي النضيرة ، وتشاهد « برج العولة » ومن خلفه قرية حرمة الوادعة في أحضان الوادي ، وتشاهد شارع الملك فيصل يشق المدينة من وسطها شرقا وغربا ليقطعه شارع النور شمالا وجنوبا . ومن قمة ذلك البرج تستطيع أن ترى أن المدينة أخذت تتمطى خارج الأسوار القديمة التي لم يبق منها سوى أطلالها حيث أخذ البناء الحديث يتسع في الجهة الجنوبية الشرقية . ومع هذا التقدم العمراني في المجمعة الذي تضفي عليه البساتين اليانعة والجداول الجارية والأنسام العليلة، الروعة والبهاء، جاء الشاعر «حميدان الشويعر » وقد مست تلك المناظر الأخاذة من شغافه وترا حساسا فمنح المجمعة لقب « الفيحاء » حين قال :

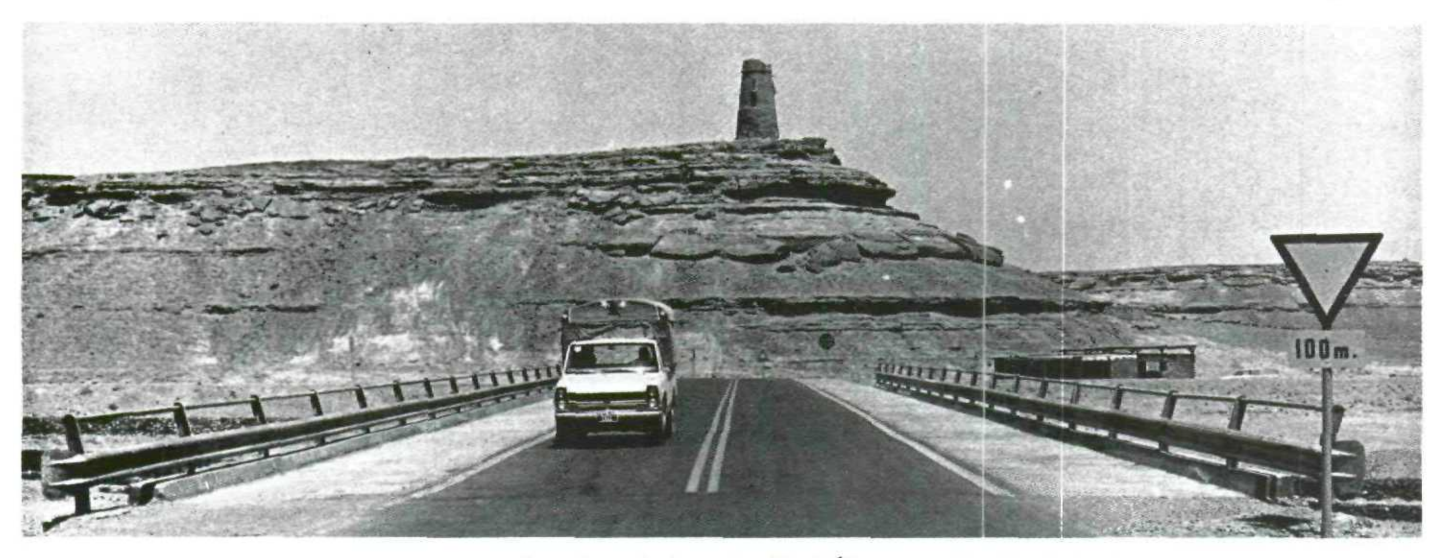
الفيحا ديرة عثمان

ومقابلتها بلاد الزيرة

وقد لقي اللقب الجديد استحسانا من أهلها فتبنوه وتغنوا به ، وعثمان الذي عناه الشاعر هو أحد أحفاد مؤسسي المجمعة.. فهذا «نادي الفيحاء» وذلك «شارع الفيحاء » وتلك «بقالة الفيحاء»، وهلم جرا .

وتضم « الفيحاء » عدة أحياء قديمة وجديدة هي : حويزة ، والحوش ، والمرقب ، وفيه قلعة منيخ ، والظهيرة ، وحلة الشيحة ، والشرقية ،

سنة ، الا أنه ما زال محتفظا بأصالته وبسمات معالمه. وهو يتألف من طابقين ، وله ثلاث بوابات ضخمة مزدانة بالنقوش ، ومصنوعة من خشب الأثل وجذوع النخل . ويضم الطابق السفلي « القهوة » وهي المجلس ، والمستودعات وأحدها للحاجيات الثمينة ، وثانيها للحطب ، وثالثها للأطعمة ، والمكتب ، والمرافق العامة ، وحجر النوم . ويمتد أمام هذه المقاصير رواق قائم على أربع عشرة سارية من الحجر المكسو بالجص ارتفاع الواحدة منها نحو خمسة أمتار وأمام الرواق « براحة » أي ساحة فسيحة غير مسقوفة . أما الطابق العلوي ، فيصعد اليه بدرج واسع من الحجر ، ويفضي الى « الروشن » وهو المجلس العلوي المخصص للضيوف من ذوي المكانة الخاصة . وأمام المجلس رواق وساحة فسيحة ، ويبلغ طول المجلس ثمانية أمتار وعرضه أربعة أمتار وارتفاعه ١٢ مترا ، وتزدان جدرانه وسقفه بالزخارف والنقوش على الجص الناصع البياض ، أما القهوة فالبسط والزرابي المزركشة تغطي أرضها ، والأرائك ذات المرايا الصغيرة تنتشر في جنباتها ، والوجار تتوهج فيه نار الأرطى ، والكمرة قد صفت على رفوفها الدلال الصفر اللامعة وأباريق الشاي من كل حجم وشكل ، و « البييتات » غصت بالقهوة والشاي والهيل والعود والند . وأخيرا مضيف



الطرق المعبدة ، والجسور ، والأبراج القديمة ، معالم بارزة يشاهدها المرء على مدخل جلاجل .

أن بدويا داهمته السيول المجلجلة في ذلك المكان فما كان منه الا أن صعد الجبل ليعصمه من الماء ، وأناخ عليه أبله فسمي الجبل « منيخ ». والبرج مخروطي الشكل ذو جدار مزدوج يرتفع نحو ١٢ مترا ومقسم الى طابقين . ويرقى الى قمة البرج بسلم لولبي حول عمود ضخم من الحجر والجص ، وفي الجدار الخارجي للبرج ثقوب « مصاليت » عديدة كان يستعملها الحراس للتصويب على المعتدين . وتقف الآن على قمة ذلك البرج مع انبلاج الصبح لتمتع ناظريك بأروع المناظر حيث تعانق أشعة الشمس أسطحة المنازل القديمة والحديثة ورؤوس أشجار النخيل في وادي المشقر غربي المدينة فتلفعها بوشاح من تبر . واذا ما سرحت ناظريك الى الشرق والشمال،

وحلة الأخوية ، والبر ، والحزم ، والقنطرة ، والسبيخة ، وركية ربطة ، وسمحة ، والباب الجديد ، والهلالية ، والمعيطن ، ومزيريرة المنتشرة حول جبل « مزيريرة » القائم في الجهة الشرقية من المدينة .

في هذه الأحياء يمتزج الطراز المعماري القديم بالحديث ، القديم بعراقته وأصالته ، والحديث بجدته ورونقه ، أما القديم فيمثله منزل « الشيخ محمد العبد الله التويجري » خير تمثيل . وهذا المنزل يعتبر ، بطرازه العريق ومحتوياته النفيسة ، من أبرز معالم مدينة المجمعة وقد نزل فيه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز عندما حل ضيفا على المجمعة . ومع أن البيت قد شيد بالطين والجص منذ أربعين

طلق المحيا يدور على الضيوف بالقهوة العربية الطيبة النكهة ، وتمر « الخضري » الشديد الحلاوة الذي تمتاز به المجمعة .

أما العمران الحديث فهو مزيج من الاسمنت المسلح والحجر الأبيض والأحمر القاني المقصب الذي تنتشر مقالعه حول المجمعة . وفي جعبة بلدية المجمعة عدد كبير من المشاريع والمخططات ترمي الى تحسين المدينة وتجميلها بعد أن انتهت من اقامة السد ، وبعد أن يتم ربطها بالقصيم عن طريق مدينة الزلفي بخط معبد يجري العمل فيه حاليا ، وهي الطريق المؤدية الى المدينة المنورة . ثم ربطها بمدينة شقراء الواقعة على الطريق الرئيسية المتجهة غربا الى الطائف ومكة المكرمة وجدة . وهناك دراسات جارية

(١) مفردها حدرة ، وهي القافلة التي تنحدر من مكان الى آخر

الآن تتعلق بمد طريق معبدة تربط المجمعة بالكويت عن طريق الأرطاوية وحفر الباطن وهي الطريق التي سيسلكها الحجاج الوافدون برا عن طريق الكويت، والتي ستختصر من المسافة ما لا يقل عن ٦٠٠ كيلومتر فيما لو سلكوا طريق الكويت — الدمام . هذه الشبكة من الطرق ستجعل من المجمعة مجمعة اسما وفعلا .

روض الخفيسة يبتلع مياه المجمعة

بينا نحن نتجاذب أطراف الحديث في مجلس الشيخ حمد الناصر التويجري الذي عاصر المغفور له الملك عبد العزيز في كفاحه لتوحيد الجزيرة ولم شعثها، سألنا ولده الأستاذ ابراهيم، اذا كنا نرغب في مشاهدة احدى عجائب الطبيعة في روض الخفيسة . وانطلقنا شرقا شمالا يرافقنا المهندس عبد العزيز التويجري . ومررنا بأبي شجيرة ، والأصفر ، والغريميلات ، وهي سهول مترامية مغطاة بالأعشاب وشجيرات الحرمل والعشر ، الى أن وصلنا « فاو الكظيمة » في كنف جبل مجزَّل بعد أن قطعنا ١٥ كيلومترا . والفاو أصله « الفأو » بتخفيف الهمزة وهو الفجوة ما بين جبلين ، كما في قول الشاعر « ذو الرمة » وهو يتحرق شوقا الى حبيبته مي التميمية :

يا دار مية بالخلصاء غيرها
سح العجاج على جرعائها الكدرا

حتى يقول :

هيهات مية من ركب على قلص
قد اجرهد بها الادلاج وانشمرا
راحت من الخرج تهجيرا فما وقفت
حتى انفأ الفأو عن أعناقها سحرا

وفي « فاو » الكظيمة » نحو عشرين « حسو »(٢) يحفرها البدو الى عمق حوالي خمسة أمتار لسقي مواشيهم . واجتزنا الفأو وطوله كيلومتران حيث أفضى الى أرض منبسطة فسيحة خضراء يطلق عليها اسم « صبحا » تنتشر بها قطعان الماشية ، وخاصة في منقع صبحا الذي تكثر فيه الكمأة «الفقع»، ثم أخذنا في الصعود قليلا في هضبة مستوية مغطاة بالحصباء تسمى « حمار صبحا » ، وبعدها امتدت أمام أنظارنا غابة سدر كثيفة لم نلبث أن اخترقناها الى أن انتهينا الى بركة ماء مستديرة عميقة على حافة الغابة من الجهة الغربية تسمى «الخفيسة» ويبلغ قطرها نحو مائة متر . في هذا المكان تصب مياه وادي المشقر حيث تنمو الأشجار وتكتسي الأرض بالأعشاب والأزهار ، ويرتاده الناس لقضاء أمتع الأوقات ، حتى أن الكثير من أبناء الرياض ينتجعونه في فصل الربيع . وروض الخفيسة يبعد عن المجمعة حوالي ٥٠ كيلومترا . غير أنه في عام ١٣٦٠هـ انشقت الأرض بصورة مفاجئة في ذلك الروض النضير وحدثت فجوة سحيقة الغور ذات فوهة كبيرة ابتلعت مياه الوادي والأشجار المحيطة بها على نحو مرعب فنضبت آبار المجمعة وذوى الزرع وأخذ يدب الوهن في أشجار النخيل حتى هجر كثير من أبناء المجمعة بساتينهم ومنازلهم . وبقي الحال على هذا النحو مدة ثلاث سنوات عندما اندمل الصدع من تلقاء نفسه وبقي مكانه غدير ماء عميق يرتاده الناس للترويح والنزهة . والأعجب من ذلك أن هناك أيضا هوة عميقة سحيقة القرار تسمى « الخفس » تبعد عن روض الخفيسة ثلاثة كيلومترات الى الشمال الشرقي في سفح تلة مستوية . وهذه الهوة المخيفة ذات فوهة يبلغ قطرها نحو ٨٠ مترا قمعية الشكل ويبلغ عمقها ٥٠ مترا تقريبا وتنتهي بفتحة يبلغ قطرها حوالي أربعة أمتار حيث تمتد الفوهة في باطن الأرض الى أعماق سحيقة . كما أن هناك « خفس » آخر ما بين مطربة وروض الخفيسة عمقه حوالي ٥٠ مترا تنمو في قعره الأعشاب وشجر السدر حتى أن البدو يهبطون الى القعر بدرج حجري جانبي ليغترفوا من مائه . هذه الفجوات تعتبر ظاهرة جيولوجية جديرة بالدرس . ومن المرجح أن الانهيار والتصدع في ذلك المنخفض حدثا نتيجة تجمع المياه تحت القشرة الأرضية فتسبب عن ذلك في الغالب عملية خفس لجزء من القشرة الأرضية .

سد المجمعة ينعش الآمال

تمتاز الأراضي المحيطة بالمجمعة بتربة رملية صفراء ناعمة تصلح لزراعة جميع أنواع الخضراوات والفواكه والحبوب اذا ما توفرت لها المياه . ولما كان الأهالي يعتمدون في زراعتهم على مياه السيول كان مدى الاستفادة من تلك المياه محدودا ولمدة قصيرة ، لأنها سرعان ما كانت تضيع هباء في رمال الدهناء وتخلف وراءها الحسرات والآلام .

والجدير بالذكر أن أهالي المجمعة كانوا في كفاح مرير مع مشكلة المياه ، فما كانوا ليقفوا مكتوفي الأيدي وهم يرون مياه السيول تمر بهم مر الكرام ، فأقاموا على وادي المشقر مدرجات مبنية بالحجارة الصلدة لتحد من قوة السيول الجارفة من ناحية ، وتحجز المياه خلفها لترتوي منها أشجار النخيل ولو الى حين من ناحية أخرى . وبعض هذه المدرجات طويلة حتى ليبلغ الواحد منها نحو ٢٥٠ مترا . ويدل هذا على مدى الجهد الذي كان يبذله المزارع في صراعه مع مصاعب الطبيعة . وقد تنبهت وزارة الزراعة والمياه لهذا الوضع الزراعي المتردي في المجمعة ومنطقة سدير ، خاصة وأن اراضيها لا تزال بكرا . فأقدمت على انشاء سد المجمعة على وادي المشقر على بعد سبعة كيلومترات من المدينة . وقد ترتب على اقامة هذا السد نتائج طيبة قلبت الأوضاع في المنطقة رأسا على عقب ، أو كما قال سعادة أمير المنطقة الشيخ محمد العبد الله السديري : لقد شمل خير هذا السد العظيم المجمعة ، بل المنطقة بأسرها مما أعاد الثقة والطمأنينة الى النفوس . وذهبنا الى موقع السد حيث سلكنا سوق (٣) « الجو » بين بساتين النخيل الممتدة في بطن الوادي من قرية حرمة الى السد . وهناك شاهدنا عملا جبارا في مرحلته النهائية ، ولقد اختير موقع السد بين جبلين يلتقي عندهما ثلاثة أودية هي المشقر وحسّيان ووُشي . ويبلغ طول السد ٣٦٠ مترا وارتفاعه ١١ مترا ، وعرضه في الذروة ثلاثة أمتار . أما عمق المياه المخزونة فنحو ٧ أمتار ، وتبلغ سعة البحيرة خلفه ١٣٠٠٠٠٠ متر مكعب . وقد ظهرت نتائج هذا السد مباشرة عقب موسم الأمطار المنصرم حيث ارتفع منسوب المياه الجوفية ارتفاعا كبيرا بدا ذلك جليا في الآبار المحفورة في المنطقة . وهناك الآن ٣٧٤ بئرا عاملة ، في حين كانت هذه الآبار جميعها تنضب خلال فترة قصيرة . وقد بلغت تكاليف السد نحو ستة ملايين ريال . وقد وصف ابن المجمعة الشاعر «عثمان بن سيار» الآمال الحلوة التي أخذت تداعب النفوس بعد انجاز السد فقال في قصيدة له :

جادتك من غاديات المزن وطفاء
يا موطن العز والاخلاص ، فيحاء
أراك وارفة النعماء تعبق في
شتى مغانيك اشذاء وانداء
والخصب ينشر في الساحات بردته
مذ قام سدك سدت عنك ارزاء
تلفتي تجدي الآفاق مشرقة
وحولك النجب أحفاد وأبناء

وبعد انشاء السد نشطت الحركة الزراعية وزادت المساحات المزروعة وأدخلت أشجار فاكهة وخضار جديدة في المنطقة كان نجاحها باهرا . وهناك امكانيات كبيرة للتوسع الأفقي في الزراعة . وتقوم مديرية الشؤون الزراعية من ناحيتها بتشجيع الأهلين على زيادة الرقعة الزراعية بتأمين الخدمات التي من شأنها رفع الطاقة الانتاجية . وقد قامت المديرية مؤخرا بادخال نوع جديد من القمح يطلق عليه اسم « ماكسي باك » ، وهو صنف مهجن من القمح المكسيكي والباكستاني . فأنشأت ثلاثة حقول تجريبية في المجمعة والحوطة والتويم كلها تبشر بنجاح هذا النوع من القمح . وهو يمتاز بوفرة انتاجه لتفرع نبتة القمح الى ما يزيد على ١٥ سنبلة ، وبذلك يصل انتاج الدونم الواحد منه الى حوالي ٤٠٠ كيلوغرام بينما يصل انتاج الأصناف التقليدية من القمح للدونم الواحد نحو ١٥٠ كيلوغراما .

أما النخيل فيعتبر الزراعة الأساسية في المنطقة ، وأصناف التمر كثيرة أهمها : الحلوة ، والخضري ، والدخيني ، والروثان ، والمساني ، والمكتومي ، والجفير ، والصّقعي ، والسّلج ، وأبو منيف ، والصفرى ، والحِقّي ، والسكري . ويؤلف الخضري حوالي ٨٠ بالمئة من نخيل المجمعة ويمتاز بشدة حلاوته ، وكبر حجمه .

جلاجل .. الأحساء الصغير

الاحساء التي عرفت في التاريخ باسم « هجر » مشهورة بكثرة نخيلها . وأهل جلاجل يعتبرون قريتهم صورة مصغرة عن الاحساء المعروفة على الخليج العربي . وجلاجل بلدة قديمة معروفة قبل الاسلام ، تغنى كثير من الشعراء بربوعها الخضراء وواديها الممرع ، ووادي المياه المشهور . فهذا امرؤ القيس يروي لنا قصته مع ابنة عمه عنيزة وجمع من العذارى عندما وردن غدير دارة جلجل المعروفة اليوم بجلاجل فيقول :

الا رب يوم لك منهن صالح
ولا سيما يوم بدارة جلجل

(٢) البئر المطوية بالحجارة (٣) الطريق في عمق الوادي (٤) جمع قارة وهي الأكمة المنفردة

ويوم عقرت للعذارى مطيتي
فيا عجبا من كورها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل

وانطلقنا من المجمعة الى « دارة جلجل » لعلنا نشاهد ذلك الغدير الذي نزل عليه امرؤ القيس يرافقنا أحد أبنائها ، الأستاذ محمد عبد الرزاق السعيد ، مدير المدرسة المتوسطة بجلاجل . وبينا نحن سائرون أشار الأستاذ محمد الى جبل بركاني صغير قائم على حافة واد ، ويبعد عن شمال الطريق نحو ثلاثة كيلومترات ، فقال ذلك هو « حصاة القريف » ، فعرجنا عليه وشاهدنا على صخرة في قمته بعض الكتابات التي كادت تنطمس . وعندما اقتربنا من جلاجل ، أشار مرافقنا الى قارات (٤) قائمة على يمين الطريق وقال تلك هي : فردة ، وسلمى ، وحومل ، التي يذكرها الشاعر عبيد بن أيوب :

ولو أن قارات حوالي جلاجل
يسمين سلمى والفرود وحوملا
يوازن مابي من هوى وصبابة
لكان الذي ألقى من الشوق أثقلا

ثم لم يلبث أن أرانا الأستاذ محمد النقيات في كنف جلاجل والتي تغنى بها الشاعر ذو الرمة :

أمن دمنة بالجو جو جلاجل
زميلك منهل الدموع جزوع
عصيت الهوى يوم القلات وانني
لداعي الهوى يوم النقا لمطيع

ويقول فيها ذو الرمة أيضا :

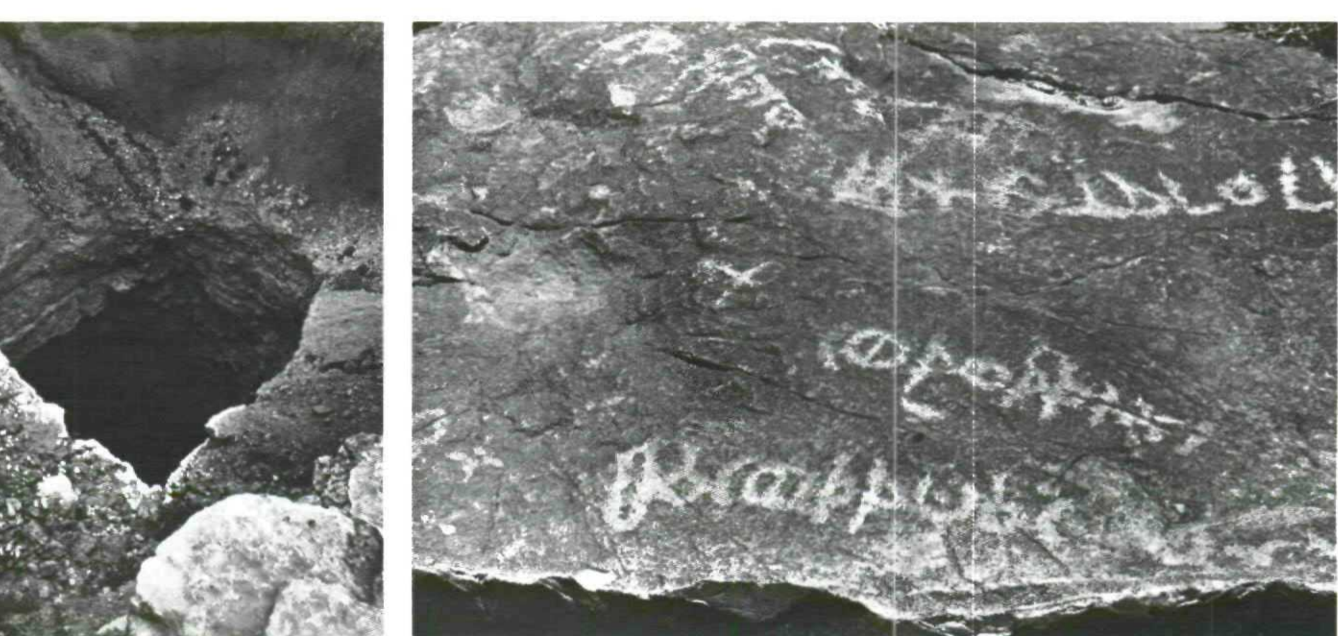
خليلي عوجا اليوم حتى تسلما
على طلل بين النقا والأخارم
أقول لدهناوية عوهج جرت
لنا بين أعلى عرفة بالصرائم
أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا أأنت أم أم سالم ؟!



احدى المكتبات العامة التي يرتادها أبناء المجمعة في أوقات فراغهم .



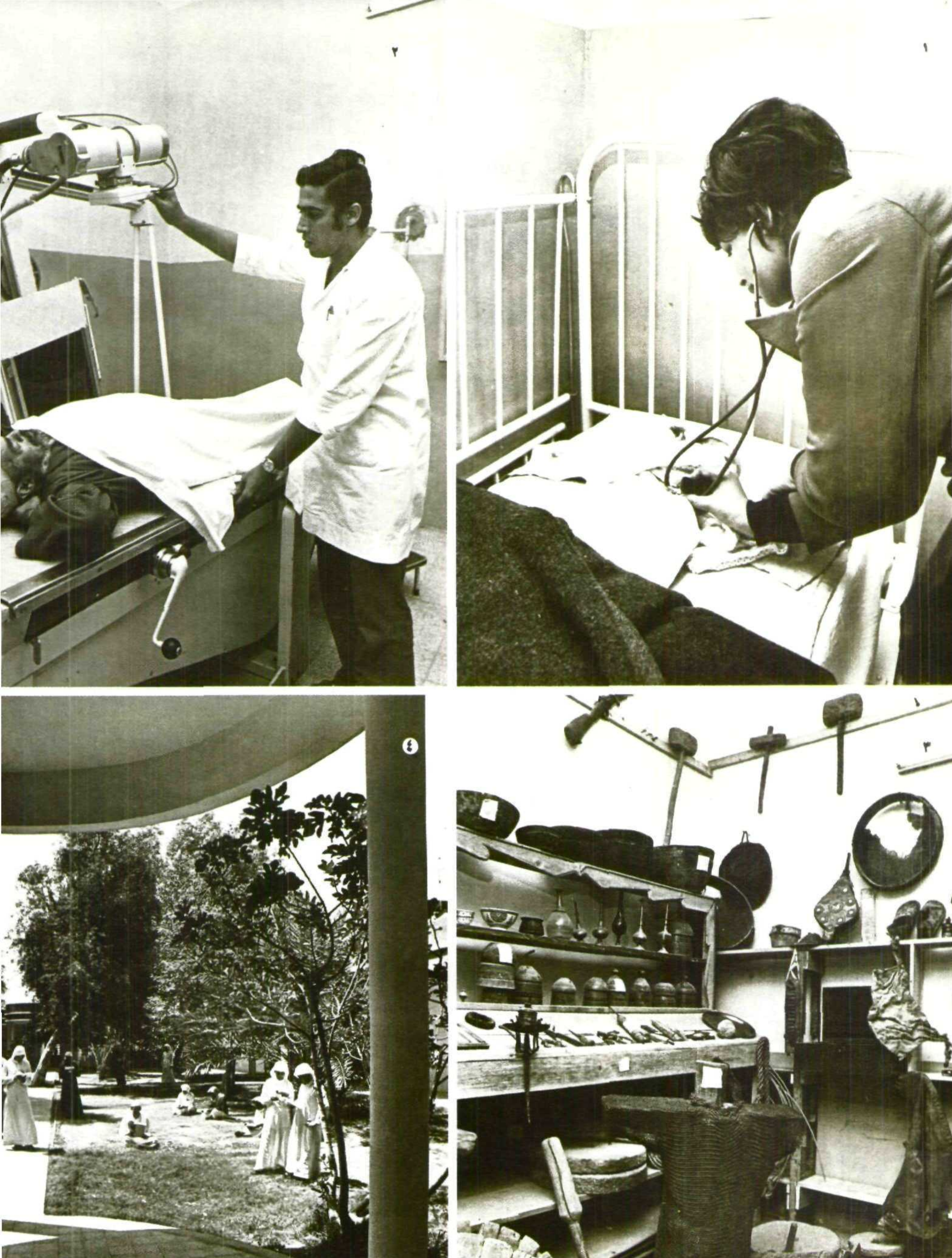
طلاب المعهد العلمي بالمجمعة عند مدخل المعهد ، وقد ازدانت واجهته بالآيات القرآنية المنقوشة .



كتابات و « مخربشات » على حصاة القريف .



« الخفس » ظاهرة جيولوجية جديرة بالدراسة .



وما أن تبدت لنا جلاجل بموقعها الأخاذ ومياهها المتدفقة ونخيلها الممشوق حتى عادت بنا الذكرى الى امريء القيس وذي الرمة اللذين أمضيا ساعات الهناء والصفاء في تلك الرياض الغناء .

وجلاجل اليوم تمر بمرحلة من التطور والتقدم السريعين، خاصة وقد تقرر انشاء سد على وادي المياه على بعد نحو عشرين كيلومترا منها في موقع تلتقي عنده أودية السلم والنخل وعنقود . وهي بالاضافة الى شهرة تمرها وخاصة السلج ، تزرع الخضار على نطاق واسع ، وتجد محاصيلها الزراعية سوق رائجة في الرياض .

والى جلاجل ينتمي عدد من العلماء البارزين منهم الشيخ علي بن زيد بن غيلان ، والشيخ ابراهيم النغيمش ، والشيخ علي بن يحيى ، والشيخ عبد المحسن بن علي بن يحيى ، والأديب عبد العزيز بن محمد الأحيدب، وله مؤلفات طريفة مثل : « حكم وأدب من مآثر العرب » ، و« تحفة العقلاء في القهوة والثقلاء » . كما أن مؤرخ نجد المشهور « عثمان بن بشر » قضى جل حياته في جلاجل .

الروضة وعراص السبعين

اتجهنا بعد « جلاجل » جنوبا شرقا على الطريق المعبد حيث وقفنا على أول قرى وادي سدير ، المعروف قديما بوادي الفقي ، وهي «الروضة» ذات الرياض اليانعة والجداول الرقراقة والنخيل المتسامق . وقد ذكرها الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » باسم « روضة الحازمي » ، فهو يقول « .. ثم تسند في عارض الفقي فأول قراه «جماز» وهي ربابية ملكانية عدوية من رهط ذي الرمة ثم تمضي بطن الفقي وهو واد كثير النخل والآبار فتلتقي «قار بلعنبر» وهي مجهلة والقارة أكمة جبل منقطع في رأسه بئر على مائة بوع وحواليها الضياع والنخيل . قال راجزهم :

[illegible]

ثم تصعد في بطن الفقي فترد « الحائط » حائط بني غبر قرية عظيمة فيها سوق، وكذلك جماز سوق في قرية عظيمة أيضا ، ثم تخرج منها الى الروضة روضة الحازمي وبها النخيل وحصن منيع . ويبدو أن الهمداني بدأ في تعداده لبعض قرى وادي سدير من أسفل الوادي الى أعلاه .

ومن أبرز المعالم الجديرة بالمشاهدة في الروضة ما يسمى بـ « عراص السبعين » ، بالقرب من المحلة الجديدة . وهو أشبه بسد حجري قديم قائم على عرض مجرى وادي سدير يبلغ طوله حوالي ألف متر وسمكه مترا تقريبا وارتفاعه نحو مترين . وقد حدثنا سعادة أمير الروضة عبد الله بن محمد آل ماضي أن ذلك السد سمي بذلك الاسم لوجود سبعين عرصة ، أي فتحة ، فيه يتدفق الماء عبرها حين نزول السيل . وقد بناه « رميزان التميمي » أحد أمراء الروضة القدامى . وعن تأسيس القرية ذاتها قال الأمير عبد الله أن رجلا من قرية « قفار » القريبة من مدينة حائل ، يقال له « مزروع » من بني تميم ، قدم الى هذا المكان منذ حوالي ٨٠٠ سنة فعمرها وغرسها هو وأولاده . ويقدر عدد أشجار النخيل في الروضة بحوالي ٧٠٠٠٠ نخلة يبلغ انتاجها نحو مليون كيلوغرام سنويا ، كما تزرع فيها الخضار والفاكهة . وقد أخذ الأهالي في الآونة الأخيرة يتوسعون في زراعة أنواع متعددة من أشجار الفاكهة . ومما يجدر ذكره أن ماء الروضة يمتاز بعذوبته المتناهية حتى أن الأهالي يجلبون ماء الشرب من قرية « الداخلة » المقابلة للروضة لاحتوائه على نسبة قليلة من الأملاح .

وقد أنجبت الروضة عدداً من العلماء والأدباء منهم الشيخ ابراهيم بن عبد الله صاحب كتاب « بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال » ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ، والأستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض . ومن أمراء آل ماضي الذين ساهموا في انعاش الحركة الفكرية في الروضة المرحوم تركي بن ماضي الذي أنشأ مكتبة عامة على نفقته الخاصة وتبرع لها بنحو ٥٠٠ مجلد في مختلف العلوم والمعارف .

الحوطة عروس الوادي[1]

تابعنا جولتنا بين قرى سدير المتصلة التي كان يحيط بها سور ضخم لا تزال أطلاله باقية ويمتد نحو ٢٠ كيلومترا طولا و١٠ كيلومترات عرضاً، ويحتضن قرى : الروضة ، والداخلة ، والحصون ، والحوطة ، والجنوبية ، ومقبلة ، والجنيفي ، والعطار ، والعودة . ووقفنا عند الحوطة، المدينة الثانية في منطقة سدير، التي تعيش حركة مزدهرة في النواحي العمرانية والزراعية والتعليمية. كما تعتزم وزارة الزراعة اقامة سد على وادي الأمالح يبعد عن الحوطة حوالي ٤ كيلومترات . وعلى مقربة من الحوطة ، أماكن جميلة لا تنقطع المياه منها صيفا وشتاء يقصدها الأهالي وطلاب المدارس للاستمتاع بهوائها ومائها ، وأهمها جبل أبي قاطور ، وأبو قلمان ، والعذب ، والعنانية ، وشعيب الأمالح .

والحوطة بلدة قديمة أوردها الهمداني باسم الحائط ، وفي اعتقادي أنه عنى بها القرية المندثرة التي كانت قائمة على قارة شرقي الحوطة الجديدة . ومن بقايا البلدة القديمة أطلال مئذنة وبئر قديمة عميقة في طرفها الغربي كان يستقي منها أهل القرية والقاطنون في بطن الوادي . ويقول عبد الله ابن بليهد عن الحوطة ان أهلها بنو تميم ، ومنهم آل منيف من الوهبة من تميم ،وآل نصر الله من الوهبة من تميم، والمناقير من بني منقر الذين كان يرأسهم قيس بن عاصم المنقري وهو الذي قال فيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما سألته عنه عائشة رضي الله عنها : «هذا سيد أهل الوبر » . ومن الاسر المعروفة في الحوطة المعجل، والمنقور، والزكرى والجراوي وغيرها .

التعليم والحركة الفكرية والأدبية

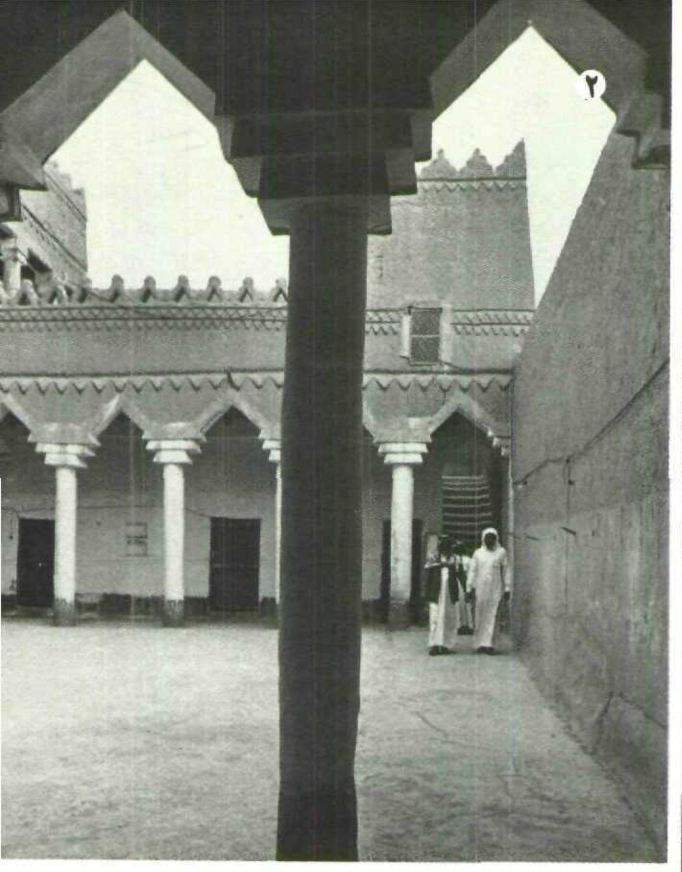
يتعذر على الباحث أن يتتبع جذور التعليم في منطقة سدير، بيد أن الظواهر تدل على أن البداية كانت مبكرة للغاية ، مرد ذلك الى العدد الكبير من الأعلام البارزين الذين أنجبتهم هذه المنطقة منهم المؤرخ ، والعالم ، والقاضي ، والفقيه ، والأديب ، والشاعر . ودلفنا الى مكتب مدير التعليم بالمجمعة الشيخ ابراهيم العبد الوهاب ليحدثنا عن الحركة الفكرية النامية في المنطقة ، فقال : « لا اتجاوز الحقيقة اذا قلت أن اهتمام أبناء هذه المنطقة بالعلم وشغفهم به يفوق التصور ، وهذا الاهتمام ليس حديث عهد، بل هو قديم يعكسه ظهور عدد من العلماء الأجلاء والمؤرخين البارزين والشعراء النابهين في القرون الثلاثة الأخيرة ، وقد كان لنتاجهم الفكري الأثر الكبير في تمهيد السبل أمام الأجيال الصاعدة ، حتى غدونا الآن نعيش نهضة فكرية وعلمية متنامية تدعم حركة التطور المباركة في شتى الميادين الحياتية » .

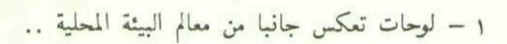
واذا ما أدرنا عقارب الزمن الى الربع الأول من هذا القرن نجد أن التعليم في المجمعة كان يتم في المساجد على يد عدد من المشايخ . فأول من عقد حلقات للدرس في الجامع القديم بالديرة هو « الشيخ أحمد بن عيسى » من أهالي شقراء ، ثم أعقبه حوالي عام ١٣٢٧هـ « الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري » من أهالي ثرمدا الذي تولى القضاء في المجمعة ، وكانت له اليد الطولى في نشر التعليم بين أبنائها ، ومن بين تلاميذه البارزين الشيخ عبد العزيز بن صالح رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة حاليا ، والشيخ حمود التويجري ، والشيخ عبد الرحمن بن دهش قاضي بلدة الغاط ، والمرحوم الشيخ عثمان بن ابراهيم الحقيل رئيس المحاكم الشرعية بالمنطقة الشرقية سابقا ، والشيخ عثمان الحمد الحقيل مدير التفتيش في وزارة العدل ، والشيخ حمد بن مزيد ، والمرحوم الشيخ عبد الله بن زاحم رئيس المحاكم الشرعية في المدينة المنورة سابقا ، وغيرهم . ثم تولى عدد من المشائخ مهمة التدريس في المساجد والكتاتيب منهم عبد الله بن حميد ، وسعود بن رشود ، وسليمان بن حمدان ومحمد بن سودة ومحمد بن عبد العزيز المطوع ، وأحمد الصانع ، وعبد الرحمن الصالح . أما التعليم النظامي في المجمعة فكان للمغفور له الملك عبد العزيز الأيادي البيضاء حينما خص المجمعة عام (١٣٥٦هـ) بأول مدرسة

٢ — مستشفى المجمعة مزود بمعدات والأجهزة الحديثة، ويضم هذا جهاز للتصوير بالأشعة.

٣ — تعنى الأهالي والأهالي في سدير بالمحافظة على التراث ، وهنا في متحف ثادق « المجحد » تبدو بعض المعروضات التي تمثل جانبا من المصنوعات اليدوية التي أخذت تتلاشى مع مرور الزمن ..

٤ — حول الأشجار الوارفة يتذاكر طلبة المعهد العلمي دروسهم اليومية ..





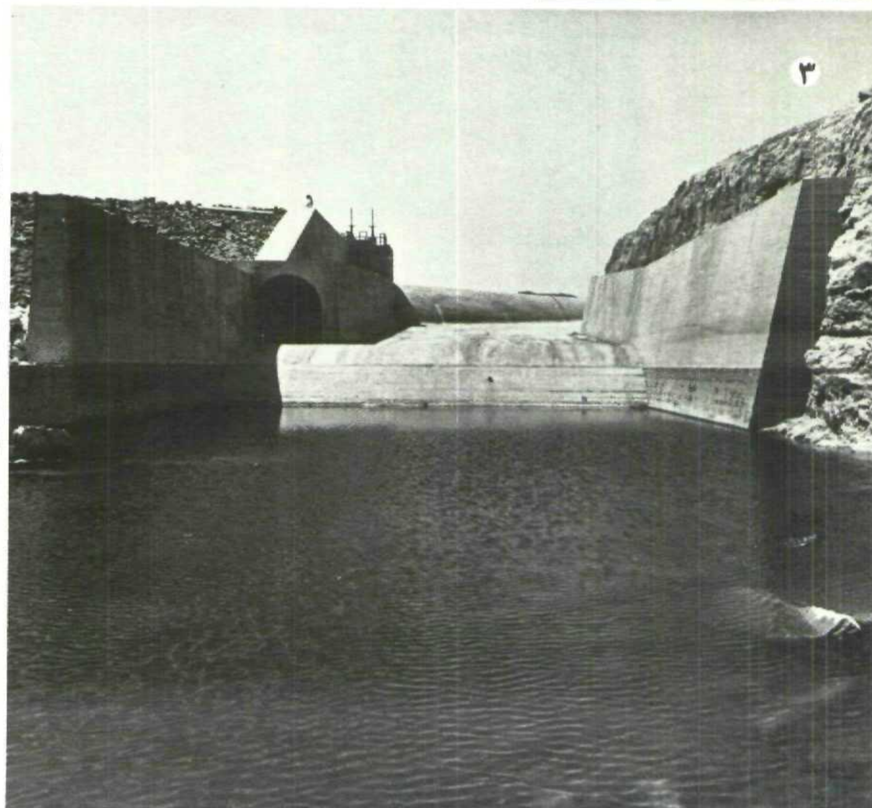
١ – لوحات تعكس جانبا من معالم البيئة المحلية ..

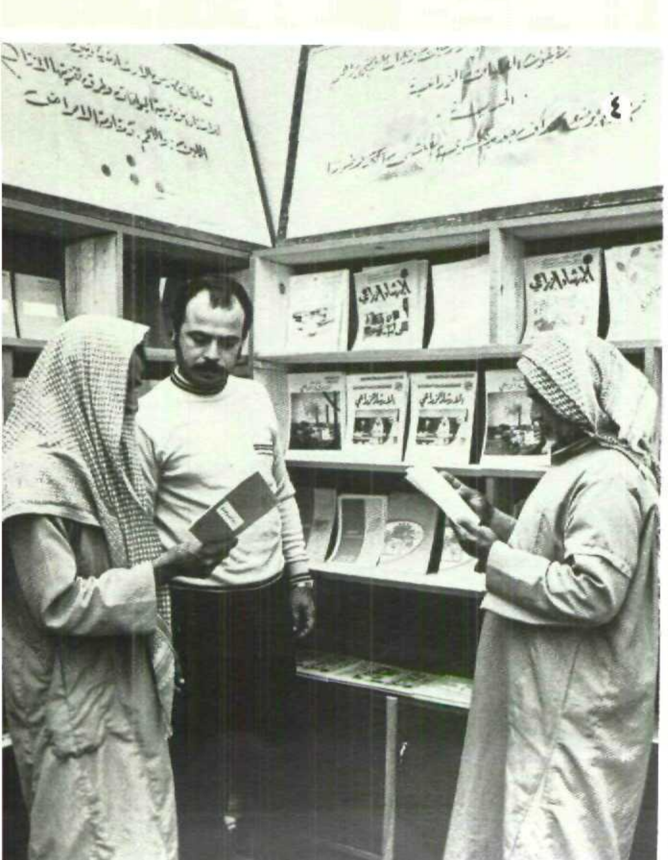
٢ – العمران القديم بسماته البارزة يعكسها هذا المنزل في المجمعة .

٣ – جانب من « سد المجمعة » تتدفق منه المياه التي حولت السهوب القفر الى مرابع خضر ...

٤ – أحد المرشدين الزراعيين في مديرية الشؤون الزراعية بالمجمعة ، يزود المزارعين بالنشرات الزراعية الخاصة بالارشادات الفنية .

تصوير : شركة التصوير الوطنية





ابتدائية كانت ضمن المدارس الأربع الأولى في المملكة وأطلق عليها اسم «المدرسة السعودية الأولى»، وكان أول مدير لها الأستاذ الأديب عثمان الناصر الصالح ، من أبناء المجمعة ، وقد تولى فيما بعد ادارة معهد العاصمة النموذجي بالرياض .

وعندما تخرج الفوج الأول منها عام ١٣٦٥هـ وقوامه عشرون طالبا ، أمر المغفور له الملك عبد العزيز بابتعاثهم الى مدرسة دار التوحيد بالطائف حيث أنهوا المرحلة الثانوية ، ثم أرسلوا الى كلية الشريعة بمكة المكرمة . ومن بين أعضاء الفوج الأول من المدرسة السعودية الأولى ممن يشغلون الآن مناصب رفيعة في الدولة الشيخ أحمد المنصور مدير عام الثقافة في وزارة المعارف ، والشيخ عثمان ابن عبد العزيز بن أحمد مدير وحدة الامتحانات بوزارة المعارف ، والشيخ أحمد الجبير الملحق الثقافي في ألمانيا الغربية ، والشيخ عبد المحسن التويجري في وزارة المالية ، والشيخ عثمان المحارب رئيس قسم التفتيش في الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، والشيخ عبد العزيز الربيعة رئيس محكمة الدوادمي . هذا وهناك عدد كبير ممن تخرج منها فيما بعد يحتلون مناصب مرموقة في أجهزة الدولة منهم الشيخ ابراهيم الحجي نائب وكيل وزارة المعارف لشؤون التعليم .

ولم يلبث أن أخذ عدد المدارس في المنطقة يزداد تدريجيا حتى أصبح فيها اليوم ٤٧ مدرسة ابتدائية و ٧ مدارس متوسطة ، وثلاث مدارس ثانوية في المجمعة والحوطة والزلفي . هذا بالاضافة الى ١٨ مدرسة ليلية بين ابتدائية ومتوسطة يلتحق بها كل من فاته ركب التعليم في الصغر . وتضم مدارس المنطقة ما ينوف على سبعة آلاف طالب . وتعتزم مديرية التعليم فتح مركز صيفي لرعاية الشباب ، وبناء ثلاثة معسكرات كشفية في المجمعة والزلفي والحوطة ، واقامة مسرح متنقل ، وانشاء استاد رياضي يضم جميع الملاعب الرياضية وتقام فيه المسابقات والمباريات .

وفي المجمعة صرح علمي آخر بجانب مدارس وزارة المعارف ذلك هو «معهد المجمعة العلمي» التابع للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، وقد تأسس في عام ١٣٧٤هـ وكان أول مدير له الشيخ عثمان الحمد الحقيل الذي يشغل حاليا منصب مستشار في وزارة العدل . ومدة الدراسة في المعهد ست سنوات بعد المرحلة الابتدائية ، ويؤهل طلبته لشهادة التوجيهية العامة . وتعتبر العلوم الدينية والعربية والاجتماعية هي المواد الأساسية في منهج المعهد الا أنه يضم مواد أخرى كالعلوم والرياضيات والتربية وعلم النفس واللغة الانجليزية ، وقد بلغ عدد خريجيه من حملة التوجيهية منذ تأسيسه ٢٣٤ خريجا ، من بينهم مدير المعهد الحالي الشيخ عبد الرحمن الموسى الكنهل . هذا وفي مدينة الزلفي ومدينة الحوطة معهدان مماثلان .

أما الفتاة في سدير فقد كان لها حظها الأوفى من التعليم ، نظرا للاقبال الشديد عليه ، اذ بلغ عدد المدارس الابتدائية في المنطقة حاليا خمس عشرة مدرسة تضم ٢٤٧٣ طالبة ، تشرف عليها ثلاث مندوبيات في المجمعة والروضة والزلفي . كما افتتح في المجمعة معهد متوسط لاعداد المعلمات يضم ٧٠ طالبة . ومما يلفت النظر في المعهد كثرة الصحف الحائطية الجذابة التي يعالج كل منها ناحية علمية وفنية خاصة من بينها : الشعاع ، والفتاة الناشئة ، والأماني ، ودنيا الأسرة ، ومجلة الأناقة ، والنشرة العلمية ، والازدهار وغير ذلك .

هذه الحركة التعليمية النشطة ، واقبال أبناء المنطقة الشديد على مناهل العلم في مختلف مستوياته ينعكس بجلاء في العدد الكبير منهم ممن أحرزوا درجات علمية عالية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الدكتور عبدالملك الخيال ، والدكتور محمد الأحمد الرشيد ، والدكتور رشيد محمد الرشيد ، والدكتور محمد عثمان الصالح ، والدكتور صالح المزيني ، والأستاذ عبد الله عبد المحسن التركي ، والدكتور عبد العزيز التويجري ، والدكتور حمد الثميري ، والدكتور فهد العبد الجبار ، والدكتور عثمان عبد العزيز الربيعة ، والدكتور عبدالله المشاري الدخيل ، والدكتور عبدالعزيز عبد الرحمن العنقري ، والدكتور عبدالله ابراهيم المحارب ، هذا بالاضافة الى المهندسين والطيارين من أبناء المجمعة . وهناك فئة من الكتاب والأدباء والشعراء من أبناء المنطقة دفعت الحركة الأدبية في المملكة خطوات عملاقة الى الأمام بما أنتجته من أعمال فكرية رفيعة نذكر منهم الشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل ، والأستاذ عبد الله الحمد الحقيل ، والأستاذ محمد الأحمد الثميري ، والشاعر عثمان بن سيار المحارب ، وغيرهم .

نواد نشطة ومتاحف زاخرة بالتراث

تعكس النوادي في المجمعة الحياة الاجتماعية بألوانها المختلفة . وفي طليعة هذه الأندية «نادي الفيحاء» بالمجمعة ، وقد تأسس في عام ١٣٧٩هـ و «النادي الفيصلي» بحرمة ، وقد تأسس في عام ١٣٧٥هـ . ويضطلع هذان الناديان بنشاطات رياضية وثقافية ، واجتماعية . وفنية ، وكشفية ، تهدف في جملتها الى اعداد شباب متكامل ضمن اطار تعاليم الدين الاسلامي ومبادئه السامية ..

وفي مطلع عام ١٣٩١ أقدم أعضاء نادي الفيحاء على انشاء سور ضخم من الحجر الأبيض والأحمر كخطوة أولى من مشروع كبير سيضم قاعة فسيحة للمحاضرات ، ومدرجات للملاعب ، وقاعة خاصة للمتحف ، وبركة سباحة بالاضافة الى تشجير جوانب الملعب . وقد بلغت تكاليف السور الذي يبلغ طوله ٢٥٠ مترا وعرضه ١٥٠ مترا نحو مائة ألف ريال .

ومن النشاطات المتعددة التي يمارسها الناديان تنظيم مهرجانات رياضية سنوية وندوات ثقافية واقامة حفلات سمر ، والقيام برحلات كشفية ، وعقد فصول دراسية لمحو الأمية ومساعدة الطلاب في العطلة الصيفية ، واصدار صحف حائطية ، وتوزيع ملصقات على الأماكن العامة تهدف الى التوعية الصحية، الى غير ذلك من نشاطات مفيدة . ولعل أبرز ما يسترعي النظر في الناديين الاهتمام البالغ بالناحية الفنية والحفاظ على التراث ، فأنى سرت تشاهد لوحات فنية من رسم أبناء المنطقة . واذا ما دلفت الى المتحف في كل من الناديين تلمس عناية الشباب بجمع التراث وصيانته . ففي المتاحف تشاهد الأواني القديمة من فخارية ونحاسية وخشبية وحجرية ، والأدوات المستعملة في الري والزراعة ، وأدوات البناء ، وسروج الخيل والأبل والألواح الكتابية القديمة ، والمنسوجات والأزياء ، والأسلحة كالسيوف والبنادق ، الى غير ذلك مما يتصل بصميم الحياة وعاداتها وتقاليدها .

ومن ألوان الحياة العامة التي يمارسها أبناء المجمعة ، الفولكلور الشعبي برقصاته وأغانيه وشعره . فعندما يؤدون رقصة العرضة النجدية بحماس يصدح شاعرهم بقوله :

شاعـر المجمعـة غنـى تماثيله
بالحقيقة نطق وافهـم لمعناهـا
يا سحاب على المشقـر مخاييلـه
عل يسقي غروس ناشف ماها
كود يطرب بها الفلاح والعبلـه
ويجتمع شمل الأسرة عقب فرقاها
وادي المجمعة حلوه مقاييلـه
مع نشامى تسرك في مخاواهـا
ربعة بالمراجل تـوفي الكيلـة
ودك أنك طول العمر وياهـا
فيهم الجـود والمعروف والشيلـة
للحمول الثقيلة حـين تبلاهـا

وسرعان ما يتحولون عن العرضة الى أفانين أخرى ، فيرددون على مسامعك شعرا ينسجم مع رقصات أخرى منها : السامري ، والهجيني ، والمراد ، والمسحوب ، والهلالي ، والخمشي ، والمربوع ، ثم ينقلونك الى لون آخر يتجلى فيه حسن وفادتهم فيقدمون لك ألوانا من أكلاتهم الشعبية كالمرقوق ، والقرصان ، والعصيد ، والجريش ، والمطازيز ، والحنيني ، والرصيع ، والفريك ، والسليب ، والغفيص ، والصبيب ، والكليجه ، وخبز التاوه والصاج .

وعلاوة على ذلك فان سكان المنطقة يقضون أمتع القيلات في أحضان الطبيعة بين روض الخفيسة ، وصبحا ، والكظيمة ، وسدحاء ، والنخيل ، والبزم ، والخثاني ، وروضة بناء ، وجوي ، والمعيذر ، وحسنانه . أو تراهم يأخذونك الى الأماكن الأثرية كصليبيب ، وغار عليا ، وأبي زيد الهلالي ، والنصلة ، والعنيبات .

وأخيرا تغادر تلك الربوع وأنت تردد مع الشاعر محمد عبد المنعم خفاجي قوله :

قـد دعوناهـا للعـلا مجمعـة
وهي للنصر والوغـى مسبعـه
واحة خضراء الربـى لقى
الجدب والبخل فوقها مصرعه
يا ربـى السحر طالما حدثتنـا
الضحـى عن رياضك المبدعة
أنت يـا مسرح الجمال عليك
وسام بالعشب مـا أروعه

سليمان نصرالله — من هيئة التحرير



النبوغ والبزوغ

للشاعر أحمد ابراهيم الغزاوي

زعَمـوا ولـم أومِـنْ بـأنّ الشـ   ـعرَ ، وحْـيٌ مِنْ « أبولّو »
و « الشّـيْصَبَـان » و « عبْـقر »   هَذَرٌ لعَمْـرُك مـا يُـمَلّ
مـا قـالَ ذلكَ غـيرُ مَـن   هُـم فـي تكثّـرِهِـمْ أقلّ
أمّـا الحقيقـةُ فـالـنّبـوغُ   هو « الـبُزوغُ » الـمُسْتَهِلّ
شتّانَ بَيْنَ أخي « ذكاءِ » ، والّـ   ـذي هُوَ فـي « غبَاوَتِـه » يَـدِلّ
ومُمَخْرقٍ هُـوَ فـي مَجَـالِ   الـكَدْحِ والـتَبْـريزِ كَلّ
أعْـظِـمْ بِمَنْ هُم أبْـدَعُوا   وعلى الـوَرَى قِمَمـاً أطَلّـوا
الخَـالديـنَ وإنْ مَـضَـوْا   والمُلْهَمِـينَ بمَـا أظَلّـوا
« أدِسُونُ » أوْ أقْـرَانُـه   ولنَـا بِـهِم نَهـلٌ وعَلّ
« ألْـفٌ » – ومَـا مِنْ وَاحِـد   ألْغَازُهُـمْ مِنْهـا يُحَـلّ
بَشرٌ « تَعَـالَى ربُّـنَـا »   أزْرَوا بِمَـنْ رحَـلُـوا وحَلّوا
نَاهيـكَ مَـنْ هُمْ بَعْدَهُـمْ   فِيمَـا اهْتَدَوْا فيـهِ وضَلّوا
فـي « الكَهْرباء » وراءهَا « الـرّا   دارُ » يَبْهَـرُ مَنْ يَـزَلّ
فـي « الـذّرّةِ » انـفَطرتْ وفـيـ   ـهـا .. كلُّ مشْكِلَةٍ تُحَـلّ
عَقِمَ الـزّمَانُ !! بِمِثْلِهِـمْ !   ولَقَدْ يجُـودُ بـهِـمْ ويَغْلُو
ما تِلْكَ الاحِـكْـمَـةٌ   « لِلّـهِ » ، جَاحِـدُها الأذَلّ
خَفِيَتْ ، ويَكْشِفُـهـا لنَـا   « تَنْزيلُـه » !! وَهْوَ الأجَلّ
حتّـى اذَا مـا « ازّيّـنَـتْ »   « طُوِيَتْ » !! كأنْ لمْ تَغْنَ قبْل
يَـا مَنْ يُجَـادِلُ في الـتّفَـ   ـوّقِ ،، إنّهُ « عِلْمٌ » و« عَقْلُ »

أحمد ابراهيم الغزاوي – مكة المكرمة

من وحي التاريخ

الحق أو الرق

بقلم الاستاذ محمد المجذوب

عشر سنوات كاملات لم تستطع أن تمحو من قلبه أشباح ذلك اليوم البعيد .. انه ليتذكر بقوة ووضوح تلك اللحظة الرهيبة حين اقتحم أولئك الرجال المخيفون ، قاعة نوم والديه ، وهم شاهرو السيوف والخناجر . ثم لم يغادروا القاعة الا بعد أن أزهقوا نفس والده ، الذي لم يمكنوه من الدفاع عن نفسه أو الكلام . ولم يكن في وسع أمه المريضة أن تفعل شيئا ، اذ غلب عليها الاغماء ، فلم تشهد بقية الفاجعة . وعجز هو كذلك ، فلم يستطع سوى الصراخ والتشبث بأبيه ، الذي لم يلبث الا قليلا حتى سكنت أطرافه ، وانقطعت حشرجته ، وعاد كتلك الوسادة الغارقة بدمه .. جمادا لا حراك فيه .

أجل .. عشر سنوات كوامل انقضت على ذلك الحادث المروع ، دون أن تخفف من أثره ، بل لقد استحال مأساة داخلية تعيش في زوايا قلبه ، ولا تكاد أطيافها تفارقه .

وكثيرا ما يتساءل في سره : ما الذي دفع بأولئك القتلة الى اقتراف جريمتهم الهائلة يومئذ ؟! ولعله كان يتمنى أن يعثر على تعليل معقول لتسويغها .. ولكن عبثا ، لأنه لم يعرف عن والده المغدور أي سوء يستحق من أجله أن يعاتب ، فضلا عن أن يقتل ! .

وليس هذا حكمه الخاص ، ومن أين له أن يكون حكما ، وهو الذي لم يكن قد تجاوز الخامسة أثناء تلك النازلة ، فلم يكد يعلم عن والده شيئا خارج نطاق الحياة المنزلية ، حيث كان ينعم في ظله بكل الحب الذي ينطوي عليه قلب انسان لم يرزق بأكثر من طفل واحد ، فكان طبيعيا أن يتبادلا الالفة . حتى لا يجد الطفل صبرا عن أبيه ، ولا يجد الوالد مخففا لأعبائه الكثيرة الباهظة الا في شخص ولده الأثير وزوجه الوفية .. لم يكن ذلك رأيه الخاص ، وانما هو أيضا رأي البقية الباقية من الرجال الذين عاشوا في كنف والده طوال قيامه على رأس هذه المملكة ، فهم يسرون مودته الى اليوم ، وبمودتهم لأبيه يغمرونه بعطفهم ومحبتهم ، وان كانوا لا يجرؤون على الجهر بذلك ، خشية العيون التي لا تفتأ تراقب تصرفاتهم .

ان كل ما تجمع لديه من حوافز وراء تلك الجريمة يعود الى نقمة أولئك الرؤساء ، الذين أحفظهم على أبيه تشدده في رعاية حقوق الضعفاء ، وحيلولته دون ما اعتادوه من العدوان عليهم .

لقد عز على هؤلاء الطغاة ، الذين ورثوا التعالي ، وجرت في دمائهم السيادة القبلية ، أن تسلبهم عدالة مليكهم امتيازاتهم العرقية ، فامتلأت صدورهم حقدا عليه ، وما زالوا يتربصون به الدوائر حتى تخلصوا منه على ذلك الوجه الذي شهده . ثم جاءوا بسيوفهم المخضبة الى أخيه ، ففرضوا عليه قبول مكانه ، ومنذ ذلك اليوم لا يبرحون يسيطرون من ورائه على شئون الملك ، فلا يقطع أمرا الا بمشورتهم ، ولا يسمحون له بعمل الا اذا وافق مصلحتهم . ولولا تعارض منافعهم بين الحين والآخر لتعذر عليه أن ينفع رعيته بشيء ، ولاستحال عليه بالتالي أن يشمل ابن أخيه بعطفه ، فيخفف عنه عبء اليتم الفادح ، الذي صار اليه بعد مقتل والده ووفاة والدته ، التي لم تتأخر عنه سوى أيام معدودة .

ويأبى الله أن تفارق « أصحمة » ظلال البلاء حتى بعد أن أصبح المستشار الأثير لعمه الملك ، بل أن نصيبه من البلاء لينمو مع سنه وتقدمه العقلي .

صحيح أن حظه من ثقة عمه ومن عطفه لكبير ، ولكن هذا نفسه هو الذي يضاعف من محنته ، فقد أوغر عليه صدور أبنائه الاثني عشر ، اذ أشعرهم بتفوقه عليهم في المواهب ، حتى لا يقطع عمه كبير أمر الا بمشورته . وأيقظ في قلوب أولئك الجفاة من سادة القبائل ما غفا من أحقاد الماضي ، فاذا هم يلاحقونه بدسائسهم ومعاكساتهم في كل مناسبة .. لقد هالهم أن يصل الى هذا المستوى من القوة في سياسة الدولة ، وأن يثبت لنفسه من البراعة ما لا يتوافر لأبناء عمه الملك مجتمعين ، فتخوفوا أن يصير اليه ملك الحبشة بعهد من عمه أو بتأييد من سواد الرعية ، فيتيح له ذلك مجالا واسعا للانتقام وللثأر . والويل لهم يومئذ ، اذ يسقطون فريسة تهاونهم في الاحتياط لأنفسهم ولأبنائهم ، فيأكلون أصابعهم ندما ولات ساعة مندم ! ..

وبلغت توقعاتهم الرهيبة ذروتها ذات يوم ، فلم يتمالكوا أن أقبلوا على صاحبهم الملك يخيرونه بين أمرين ، أما أن يسلم اليهم مستشاره الذي كاد يستبد بالحكم فيلحقوه بأبيه ، وأما أن يقصيه عن الملك بتدبير لا يدع أمامه منفذا للعودة ولا مطمعا بالسلطة ...

وكبر على الملك المقهور أن يخضع لأنذار القتلة ، ولم يجد في يده القدرة على رفض عرضيهم الظالمين ، فاضطر الى ايثار ثانيهما رحمة بالفتى البريء ، ولم يسلمه اليهم حتى أخذ عليهم المواثيق المغلظة بأن لا يمسوا حياته بسوء .

* * *

لم يختلف الوضع كثيرا على الفتى « أصحمة » بين ما كان عليه من الملك ، وما صار اليه من الرق . أجل .. لقد أوشك ذات يوم أن يكون الرجل الثاني في مملكة عمه ، وذلك مركز من حق الآخرين أن يغبطوه عليه .. ولكنه لا يذكر أنه قضى يوما قط في ذلك المنصب مستمتعا بالراحة النفسية ، التي لا قيمة ولا معنى للحياة بدونها . وانها لعيشة غير سعيدة أن يجد الانسان النبيل نفسه مضطرا لقضاء نصف عمره على الأقل في تهيئة أسباب الدفاع عن نفسه بوجه المؤامرات التي لا نهاية لها ..

لقد كان على خلاف واسع مع بيئته الملكية ، وخاصة فيما يتعلق بأساليب الحكم .. فهو يرى أن مهمة الحاكم الأولى والأخيرة هي تصحيح أوضاع الناس ، والسهر على أمنهم ، وتوفير الأسباب الضرورية لحماية مصالحهم المعقولة . على حين أنه لا يجد من يؤيده على هذا الاتجاه بالاخلاص المنشود سوى قلة ضئيلة ، لا تكاد تأمن على نفسها سلطان الباغين ، الذين لا يريدون من الحكم الا أن يكون تكأة تسعفهم بكل ما يرونه مصلحة لهم .

أما الرق — وبوجه أخص الرق الذي انتهى اليه — فتكاليفه محدودة ، لا تعدو خدمة سيده التاجر بالحفاظ على ماله ، ومساعدته في أعماله ، والقيام عنه برعاية أولاده .. وهي تكاليف



وضبط « أصحمة » أعصابه فلم ينبس، ولم يسمح لوجهه أن يتغير .. ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة الى القوم .. فما كاد بصر أحدهم يقع عليه حتى هتف برفاقه، وهو يفرك عينيه : « ألا ترون ؟ ! .. انه الفتى الذي تطلبون، والله .. » .

خفيفة المحمل ، لا تقتضيه سوى اليسير من الجهد الجسدي ، ثم له بعد ذلك أن يأخذ بحظه من الراحة بعيدا عن كل مسئولية تبهظ عاتقه ، وتقلق ضميره .

وكان هذا منه كافيا للظفر بثقة مالكه الذي قدر اخلاصه فلم يحجب عنه كلمة الشكر ، ولم يضن عليه بالعطف الذي بدد الكثير من وحشته.

ولقد ضاعف من راحته النفسية في ظل هذا التاجر ما لمسه من خصائصه العقلية وصفائه الروحي .. فالرجل لا تصرفه مشاغله في تجارة الرقيق عن مراقبة الأوضاع الاجتماعية ، التي يعيشها الناس من حوله . وكثيرا ما جاذب مملوكه أطراف الحديث عن الدين والسياسة ورجال الحكم ، وعدوان رؤوس القبائل على عامة الناس .. فاذا هما يتلاقيان عند معظم الأفكار ، وبخاصة في نظرتهما الى المفاهيم الدينية ، التي قل من يشاركهما فيها .

ان كلا من الرجلين ناقم من سلوك المنحرفين عن جادة الصواب ممن يدعون انهم من رجال الدين. فالى هذا السلوك يردان كل فساد في تصرفات الناس والحكام.. وفي رايهما ان هولاء المتصدرين لارشاد العامة ، وتلقينهم التعاليم المسيحية ، قد أساءوا الى هذه التعاليم أكبر اساءة ، عندما دسوا في أخلادهم أن كل ما تتطلب منهم الكنيسة هو الايمان المطلق بعقيدة الفداء ، ثم الجلوس بين يدي الكاهن في خلوة الأحد للاعتراف لديه والحصول على مغفرته .. فكان عاقبة ذلك أن فقد العمل الصالح قيمته في النفوس ، اذ رسخ في الأذهان الاعتقاد الخاطئ بأن المسيح قد كفر بدمه خطايا المؤمنين الكبرى ، وأن الكاهن كفيل بمحو ما تبقى من صغائرها .. فلا عليهم بعد ذلك أن يفعلوا ما يشاؤون ، حتى تستحيل الحياة ميدان صراع ، لا أمنة فيها ولا سلام.

وكثيرا ما وجد السيد وغلامه نفسيهما في بحران من الحيرة لا يعرفان كيف يخلصان منه ، وبخاصة حين يعرضان لتلك الأسس الغامضة من عقيدة التثليث .. انهما ليعجزان عن تحليل تلك المشكلة المعقدة ، التي تفرض على المسيحي أن يعتقد دون مناقشة أن الله ثلاثة أقانيم.. وأن المسيح أحد الثلاثة .. فهو انسان واله في آن واحد ..

وانها لحيرة بالغة طالما حاولا الهروب منها فلم يفلحا ، اذ كان عليهما اما أن يكفرا بعقليهما فيؤمنا بها ، واما أن يعترفا بكرامة العقل فيرفضا الاذعان لكل ما لا يجدان فيه مقنعا !

وتعذر عليهما أن يتنكرا للعقل ، وهو بنظرهما هبة الله العظمى ، التي بها ميز الانسان على سائر مخلوقاته من الحيوان ، اذ جعله معيار الحقائق ، ومناط التكليف ، والدليل الذي لولاه ما عرف الانسان خالقه ، ولا فرق بين نبي وغوي .. ومن هنا كان اتفاقهما على رفض التثليث ، والوقوف عند حدود الحقائق الكبرى التي استقر عليها قلباهما ، من وحدانية الله ، والتصديق برسالة نبيه ابن مريم عليه السلام ، والاستكثار من الفضائل التي حض عليها ..

* * *

وشعر « أصحمة » بنفحة من الغبطة تغمر قلبه ، وهو يردد في ذاكرته أرقام الربح ، الذي حققه الله على يده ، في هذه الرحلة التجارية ، التي أشرف بها على حدود البلد ، الذي بيع فيه قبل عشرة اعوام .

انه شديد الحرص على مرضاة مالكه .. وهذه فرصة جديدة للظفر بمزيد من رضاه ، لأنه سيجد في هذا التوفيق ما يملأ قلبه سرورا .

على أن ألما غير يسير ما لبث أن خالط غبطته تلك ، اذ أحس من خلال أحاديث الناس مدى البلبلة التي صار اليها الملأ الحاكمون من قومه..

لقد نزلت بعمه الملك صاعقة اختطفت حياته ، فانتقل الحكم حسب العرف الى كبير أولاده .. ولكنه لم يحسن النهوض بالعبء ، اذ كان محمقا لا موهبة له ولا خير فيه ، فتخلى بنفسه عن الملك . وسرعان ما سرى الاضطراب في جهاز الدولة كله ، بما ثار من الخلاف بين رجال القبائل حول الشخص الذي يصلح للولاية . وقد انطلقت بوادر الفتنة بالقتال الذي نشب بين عدد منهم ، وتسربت آثاره الى صفوف العامة ، الذين بدأت مشاعرهم تتوزع بين هؤلاء وأولئك من السابقين الى الاختلاف ! ..

وشد ما كانت المفاجأة غريبة عندما طالعته بعض الوجوه التي لم ينسها بعد ! ..

انهم خليط من قتلة أبيه وأنصاره ، وبينهم اثنان من الذين تآمروا عليه هو نفسه ! .

وكان متعذرا أن يتجاهلهم ، أو يصرف بصره عنهم ، وهم يعبرون ساحة الخان الذي اشتمل عليهم جميعا .

وضبط « أصحمة » أعصابه فلم ينبس ، ولم يسمح لوجهه أن يتغير .. ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة الى القوم .. فما كاد بصر أحدهم يقع عليه حتى هتف برفاقه ، وهو يفرك عينيه : « ألا ترون ؟ ! .. انه للفتى الذي تطلبون والله .. » .

وجاءت المفاجأة الثانية حينما اتجه الرجال نحوه ، ثم ما لبثوا أن انحنوا على يديه يقبلونها ، وهم يقولون :

اننا منذ شهر نضرب في الأرض بحثا عنك أيها .. الملك الحبيب ! . واستأنف كبيرهم يقول : ان المملكة على شفا الدمار ، ولئن لم تدركها بحكمتك لتغرقن بالدماء ..

وعقب آخر : ان رؤوس القبائل مختلفون ، ولا اجتماع لهم الا بك وعليك .. فأسرع لانقاذ قومك قبل أن تقتلهم الحرب .. وأطرق « أصحمة » بعينيه المشعتين ، وقد غشت الحيرة ملامح وجهه النحاسي الجميل ، وراح يفكر في ما يسمع .. ويتصور الجوائح الخطيرة التي تهدد كل شيء .. ووجد الأمر أكبر من أن يتسع للتردد ، فلم يجد مندوحة من الاستجابة . والتفت الى الكبير الذي رضي القوم بتقدمه ليقول له : « ولكن لي شرطا لا مناص من تحقيقه : أن تعاد هذه الأموال الى مالك رقي .. وأن يدفع له ثمني الذي يرضيه . »

وارتفعت الأصوات : لك ما شرطت .. أيها الملك الكريم .

وعقب الكبير : عليّ عهد الله أن أبلغ المال صاحبه في البلد الذي ذكرت .

* * *

وشاء الله أن يرد للحبشة أمنها ، الذي طالما افتقدته ، بحكمة نجاشيها الجديد ، الذي وهب نفسه للحق وفتح أبوابه لكل ذي حاجة ..

ولمح الملك ذات يوم بين المتظلمين وجها لم يكد يستقر عليه بصره حتى سرى الحنين في أعماقه ، فلم يتمالك أن سعى اليه ليعانقه في شوق ، وهو يقول : « مرحبا بسيدي الذي لا أنسى فضله .. »

وسأل النجاشي صاحبه عن الباعث الذي جاء به مع المتظلمين دون غيرهم ..

وقبل أن يتكلم هذا أجال بصره في جوانب القاعة قليلا .. وبعد تردد أجاب :

« أيها الملك . ابتعت « غلاما » من قوم بالسوق بستمئة درهم .. حتى اذا سرت به أدركوني فأخذوه ومنعوني دراهمي . وقد لجأت اليك لتنصفني بعدلك .. »

وما كاد الرجل يستوفي شكواه حتى هب الملك على قدميه ، وقد عقد الغضب ما بين عينيه ، وصاح في الذين على جانبيه «والله لتعطن الرجل دراهمه ، أو ليذهبن معه غلامه حيث يشاء .. وفي ندم ممزوج بالأسى علا صوت عن يمينه يقول : « بل يأخذ دراهمه ويدع لنا الملك .. » ■

محمد المجذوب — المدينة المنورة

سيكولوجية المرحلة الوسطى من العمر

بقلم الدكتور عبد الرحمن عدس

اعتاد علماء النفس أن يقسموا مجرى النمو الى عدد من المراحل حتى يسهل عليهم دراستها والتعرف الى معالمها الرئيسية . فهناك مرحلة الطفولة ، ومرحلة المراهقة ، ومرحلة الشباب ، والمرحلة الوسطى ، ومرحلة الشيخوخة . ومع أنه لا توجد فواصل زمنية ثابتة تفصل بين مرحلة عمرية وأخرى ، لأن الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث العمر الذي يعبرون فيه مرحلة ما ، والعمر الذي عنده يخرجون منها الى مرحلة أخرى ، الا أن العلماء درجوا على تحديد بدايات هذه المراحل ونهاياتها بشكل تقريبي . وقد تبين من الدراسات المختلفة لمجرى النمو وتطوره أن لكل مرحلة من هذه المراحل خصائصها ومميزاتها التي تختلف فيها عن خصائص ومميزات المرحلة التي تليها أو تسبقها .

ويدور بحثنا الحالي حول خصائص مرحلة العمر الوسطى التي تمتد عادة من سن الأربعين حتى سن الستين . ومن الجدير بالذكر أن معالم هذه المرحلة بالذات لا تزال مجهولة الى حد كبير ، اذا ما قورنت بالمراحل السابقة لها ، الأمر الذي جعل الناس يطلقون عليها أوصافا متباينة ومتضاربة . فبينما أطلق عليها البعض اسم سن اليأس ، أطلق عليها البعض الآخر أوصافا لها نفس المدلول ، فوصفها البعض بأنها فترة العمر المخيفة ، وفترة العمر الحزينة ، وفترة العمر الخطرة ، وفترة العمر الحرجة . وبينما يصفها آخرون بفترة انحلال الشخصية وفترة ضعف الانتاج وتوقفه ، وفترة توقف الطموح والأمل ، يراها البعض الآخر بأنها فترة التكيف ، وفترة الاستقرار العاطفي ، والاستقرار في العمل ، وفترة جني ثمار الأتعاب والجهد المتواصل . أما « ويرنر » فينظر اليها نظرة مغايرة ، نوعا ما ، حيث يرى أنها تتميز بروح ثوروية ، وفيها يزداد اهتمام المرء بمظهره الخارجي ، ويزداد اقباله على أداء الشعائر الدينية ، ويكثر اهتمامه بشئون البيئة المحلية من حوله .

ومن العوامل التي دفعت العلماء الى دراسة هذه الفترة بالذات ما يظهر على الأفراد الذين يحلون بها من امارات سوء التكيف وعوارض الانهيار العقلي والجسمي ، وبخاصة في البلدان الصناعية المكتظة التي تولي الشباب والقوى الحافزة نحو العمل والانتاج أهمية كبرى ، أضف الى ذلك أن هذه المرحلة من العمر هي الجسر الذي يعبر عليه الفرد الى شيخوخته . فاذا كانت طريقه فيها مليئة بالأشواك والمشاكل أدى ذلك الى شيخوخة غير رضية ، والعكس بالعكس .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن جميع الدراسات التي أجريت على أفراد هذه المرحلة من العمر كانت من النوع العرضي ، الذي يختار للدراسة مجموعات متباينة من الأعمار المختلفة ، وليس من النوع الطولي ، الذي يستمر في دراسة نفس المجموعة الواحدة في مراحل نموها المختلفة ، الأمر الذي قد يقلل بعض الشيء من ثبات النتائج التي تم التوصل اليها في هذا المضمار . وفيما يلي استعراض لما توصلت اليه هذه الدراسات من نتائج .

التغيرات الفسيولوجية

تعتبر هذه المرحلة من العمر بداية التسارع نحو النهاية لما يصاحبها من تغيرات فسيولوجية ملحوظة طابعها انحطاط في اللياقة البدنية والصحة العامة بوجه عام . فأعضاء الجسم تعمل الآن بسرعة واتقان أقل مما اعتادت عليه في السابق ، وذلك لنقص في الطاقة المخزونة . ويصاحب ذلك كله عدم انتظام في افرازات الغدد وميل الى الزيادة في الوزن وتجعد في الجلد وخشونة في ملمسه ، وتصلب في شعر الأنف والأذن والحاجب عند الرجل ، وبروز شعر أكثر من السابق في الذقن والشاربين عند المرأة . كما أن العيون تصبح أقل لمعانا والأسنان أكثر اصفرارا ويصيب الجسم ارتخاء في عضلات البطن والذراعين والذقن . ويصاحب ذلك ألم في المفاصل والأطراف وصعوبة في المشي ، وضعف في القدرة على السمع والبصر . ان الكثيرين يصابون بطول البصر ، وذلك لنقص في مرونة القرنية وعدم قدرتها على التكيف للمثيرات الضوئية بالسهولة المعتادة .

ومن ناحية أخرى ، فان الفرد في هذه المرحلة يحتمل أن يصاب بتصلب في الشرايين وبارتفاع في ضغط الدم ، وباضطرابات في عمل القلب ، وبخاصة عند ذوي السمنة . كما أن البعض الآخر قد يصاب بالامساك وبأمراض السكر وبفقدان الشهية وبآلام معوية متفرقة ومتفاوتة في الدرجة .

وخلاصة القول ، أن هذه التغيرات الفسيولوجية العديدة تجعل من الفرد انسانا آخر ، وتشعره بطريقة أو بأخرى بأنه قد تغير ، وبأن صحته آخذة في التدهور الى الوراء شيئا فشيئاً ، استعدادا للدخول في مرحلة الشيخوخة . لذلك فلا غرابة أن نجد الكثيرين من الذكور والاناث يزيدون من اهتمامهم بلياقتهم البدنية وبمظهرهم العام ، فتراهم يقبلون على ارتداء الملابس الفاخرة من ناحية ، ويحاولون الالتزام بنظام غذائي معين ، حتى يقللوا من وزنهم من ناحية أخرى . وقد يبدأون بالاضافة الى ذلك في ممارسة الألعاب الرياضية التي تساعدهم في الحفاظ على لياقتهم البدنية وتعمل على تقليل أوزانهم .

ومما تجدر الاشارة اليه أن قواعد التغذية الصحيحة يجب أن تراعى في جميع مراحل

العمر ، فلا تقتصر على هذه المرحلة بالذات ، لأن من شأن مراعاة هذه القواعد الحفاظ على حيوية الجسم والعمل على انتظام أجهزته وسلامتها . فالنمو سلسلة متصلة ، وكل مرحلة من مراحله تتأثر بما يصيب الفرد في المراحل السابقة لها . وبعبارة أخرى فان نتائج ما يعمله الفرد للحفاظ على صحته وأناقته وقوامه في هذه المرحلة بالذات تعتمد الى حد كبير على تاريخه الصحي في المراحل السابقة لها .

وثمة شيء آخر يجب ذكره في هذا المقام ، وهو أن المحافظة على اللياقة البدنية في هذه المرحلة أو في غيرها من المراحل لا تأتي عن طريق الامتناع النسبي عن الأكل أو التقليل الزائد من كميته ، كما يفعل البعض ، وانما عن طريق انتقاء أنواع متوازنة من الأغذية تتوفر فيها العناصر الغذائية اللازمة للجسم ، وبكميات مناسبة .

من هذا كله يتضح أن هناك تغيرات محققة تصيب كل فرد فينا عندما يعبر هذه المرحلة من العمر تجعلنا نختلف تدريجيا عما كنا عليه من قوة وحيوية في مرحلة الشباب . فاذا نحن اعترفنا بذلك وتقبلناه بقبول حسن باعتباره شيئا محتما لا بد أن يصيبنا ، فان مشاكلنا ومتاعبنا لا بد أن تتقلص وتخف .

التغيرات النفسية

لما كان العصر الحالي يقدر الشباب القوى الحافزة نحو العمل والانتاج ، وبخاصة في العالم الصناعي كما ذكرنا ، فان وصول المرء الى هذه المرحلة العمرية بالذات وابتعاده عن فترة الشباب رويدا رويدا يجعله في ضيق نفسي تختلف شدته من فرد لآخر . وهو الآن يشعر بضعف تدريجي في السمع وفي البصر وفي نواح أخرى من جسمه ، مما يؤكد له يوما بعد يوم أنه يسير في طريق الانحدار . لذلك فلا غرابة أن يشعر المرء بنوع من الضيق وعدم الارتياح ازاء ما أصابه من تغير وتحول .

ومع أن الشعور بمثل هذا الضيق متوقع ، الا أن الاسراف فيه ، وفيما يترتب عليه من تصرفات هو الشيء الذي يجب أن يقلع عنه الفرد في هذه المرحلة . فبعض الأفراد يحاولون جاهدين ارهاق أنفسهم في أعمال لا طائل من ورائها ليبرهنوا للآخرين أنهم لا زالوا في عنفوان الشباب . كما أن البعض قد يسرف في أنواع الملذات ، الى غير ذلك من الأمور التي قد تعكس خطأ أنهم ما زالوا كما كانوا عليه في المرحلة السابقة من القوة والنشاط والحيوية .

وهناك فريق آخر ينحو منحى مغايرا لهذا تماما حيث يميلون الى العزلة والانفراد عندما يشعرون أنهم تغيروا فعلا وأنهم لم يعودوا كما كانوا عليه في السابق . أنهم يحاولون تقليص صلتهم بما اعتادوا عليه من نشاطات وممارسات في مرحلة الشباب ويحاولون تعلم نشاطات وممارسات جديدة تتفق مع ما وصلوا اليه في سلم النمو والتطور .

ومما يزيد في حدة العوامل النفسية التي تؤثر على الأفراد في هذه المرحلة بالذات ما يصيبهم من نقص في الدوافع الجنسية . فالأنثى تصبح غير قادرة على الانجاب ، كما يشعر الرجل أن دوافعه الجنسية قد بدأت في الهبوط . ولهذا نرى أن أفراد كل من الجنسين يحاولون تعويض هذا النقص بطرق شتى . فالاناث مثلا يخلدن أكثر من السابق الى الزينة والملابس الفاخرة ، ويبدين اهتماما زائدا فيما يختص برشاقتهن وحسن قوامهن ، والرجال يميلون أيضا الى الملابس الفاخرة ويزيدون من اهتمامهم بأمور صحتهم ، بالاضافة الى أنماط أخرى متعددة من السلوك التعويضي .

ومما يجعل هذه المرحلة من العمر دقيقة وحرجة بالنسبة لبعض الأفراد هو أنها تشكل المرحلة التي يقوم فيها الأفراد عادة بمحاسبة أنفسهم على ما حققوه من أهداف . فاذا دخلها المرء بعد تاريخ طويل من الفشل ، فانه سيكون قلقا ، ويميل الى العزلة والانطواء ، وقد تتردى علاقاته مع الآخرين وتتسم بالشذوذ والالتواء . أما اذا كان المرء قد حقق قبل عبوره اليها غالبية أهدافه ، أو جزءا مقبولا منها فانه اما أن يقوم بمراجعة الأهداف التي لم تتحقق بغية العمل على تحقيقها ، أو يقوم بالتركيز على ما تحقق منها ويحاول تعزيزها وتدعيمها . وفي كلتا هاتين الحالتين يكون عبور المرء لهذه المرحلة العمرية هادئا وواثقا وقليل المشاكل والصعوبات .

ومن الأمور التي قد تزيد من قلق الأفراد في هذه المرحلة العمرية ما يتبعها من زيادة في المسئوليات عند بعضهم ، كالزيادة في عدد أفراد العائلة ومتطلباتهم المعيشية من جهة ، والزيادة في المتطلبات والواجبات ضمن العمل الذي يعتاش منه الفرد من جهة اخرى . كما أن هناك بعض المشاكل الزوجية التي قد تبرز أحيانا ، كفقدان أحد الزوجين الآخر . أو ظهور فتور في العلاقات الزوجية لسبب أو لآخر .

ان قسما من الأفراد يشعرون أكثر من غيرهم بوطأة هذه الفترة من العمر فتراهم يوقفون من طموحهم وآمالهم . ان المتوقع من مثل هؤلاء الأفراد ، رغم ما يشعرون به من تغير في نموهم الفسيولوجي ، هو أن يتقبلوا مثل هذا التغير على أنه أمر طبيعي يلحق بكل فرد نام ، وأن يقبلوا على الحياة بكل نشاط وطموح لا أن يعتبروا هذا التغير حجر عثرة في طريق مسيرتهم .

وبعد هذا العرض السريع للتغيرات المصاحبة لهذه الفترة العمرية يبقى أن نتساءل عما اذا كان لها من مزايا أم لا . وجوابنا على ذلك أن هذه المرحلة لا تخلو من مزايا متعددة نذكر منها ما يلي:

مزايا المرحلة الوسطى

لا يخفى أن المرء عندما يصل الى مرحلة العمر الوسطى يكون قد مر بخبرات عديدة ومواقف متنوعة صقلت معرفته وعجمت عوده . انه يستطيع أن يعتبر هذه المرحلة على أنها القمة في انتاجه وطموحه ومراميه . انها المرحلة التي يبدأ فيها الفرد بقطف ثمار أتعابه ، أنها قمة نجاحه المالي والاجتماعي حيث أن انتاج الفرد يكون على أشده في الأربعينات ، ويقل عن ذلك في الخمسينات ، ويصل الى النصف في الستينات لذلك كله فان هذه المرحلة ليست بالقاتمة أو الحرجة كما يحتمل أن يحكم عليها من خلال تفحص التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الانسان فيها ، وانما هي على العكس من ذلك منطلقة الى الأمام . ان ما يصيب الفرد فيها من تغير فسيولوجي ما هو الا خطوة في مسيرة النمو . ومع أن ذلك قد يفقده بعض النشاط والحيوية الا أن نوعية الخبرات والمهارات التي يكتسبها نتيجة تقدمه في العمر تعوضه الشيء الكثير . فهو الآن ، بما لديه من خبرات ناضجة وممارسات ناجحة يبدو أكثر كفاية من السابق .

والشيء الأخير الذي يجدر ذكره في هذا المقام أن طبيعة نظرتنا الى الحياة ودرجة تقبلنا لأنفسنا هي التي تلوّن سلوكنا ، فتجعلنا ننظر الى هذه الفترة أو الى غيرها نظرة ايجابية أو نظرة سلبية . اننا اذا أدركنا حتمية التغيرات التي تصيبنا في هذه المرحلة وتقبلناها على اعتبار أن حدوثها أمر طبيعي له خصائصه ، الايجابية منها والسلبية ، ساعدنا ذلك في التكيف لها ، وكان بمثابة دافع لنا للاستمرار في خط مسيرتنا المعتاد ، دون أن نولد لأنفسنا مشكلات ومصاعب نحن في غنى عنها ، والتي ان صدف وان وجدت فانها ستعثر خطواتنا وتكدر صفو حياتنا ■

د. عبد الرحمن عدس — عمان

الحكاية والقصة
بين الشرق والغرب

بقلم الاستاذ احمد أبو الخضر منسى

بحث مستفيض يضمه كتاب ضخم ممتد الأطراف والحواشي ، تمتد صحائفه ما مددتها . لكن مالا يدرك كله لا يترك بعضه ما دام حشوه جامعا لأركانه وافيا . نلج فيه القول في اجمال شاف ، وان عازه التفصيل والاستقصاء .

ولقد عمدنا الى الحكاية والقصة لأنهما في تاريخ الأدب الشرقي والغربي انما نزلتا مع الشعر في المنزلة الأولى والمرتبة العليا ، ولأنهما أخف محملا على النفس ، وأقرب الموارد لمن قرأ ليتسلى أو يفيد ، ولأن مدارهما الهداية ، ولا سيما الحكاية ، الى الحكمة والاعتبار وعمادها أن تزف اليك التجربة والموعظة في طراز من الأمثال عجيب **«وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون»** .. كذلك كانت الموعظة في القرآن والانجيل . وقد قال ابن المقفع في ذلك : « اذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث» . وقال ابراهيم النظام : « يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة » .

وخير الكتب كتاب أتاك بالتجارب التي مارسها الناس من قبلك ، والناس من حولك ممن لبستهم دهرا ، فتفيد منها حسن التصرف لنفسك في الحياة واصابة الرشد في سلوكك مع الناس ، لتكون مفلحا مسددا . وقد قال « بسمارك » : « يقول الأغبياء أنهم ينتفعون بتجاربهم ، ولكني أفضل أن أنتفع بتجارب غيري » .

كما أن أبقى الكتب على الدهر ، وأحقها ادخارا وأطيبها مرجعا ، كتاب يهذب ويؤدب ، ويسوق اليك الحكمة والارشاد بالأمثال والأشباه تجري على أفواه البهائم والطير ، فكأنك تعبث وتلهو ، وكأنك تضحك وتمرح ، وأنت مع ذلك في جد بحت ، وافادة خالصة تلتقط درر الحكمة وتجمع لمدخرات المواعظ ودروس الحياة البالغة .

والحكاية والقصة نبتتا من الشرق ، ونجمتا في أرضه ، لأن هذا الشرق قديم قدم الأرض ، اذ فيه نشأ الانسان الأول ، وفيه نما وتكاثر ، ومنه تفرقت ذراريه ، وامتدت شعابه ، كما ظهرت فيه الأديان السماوية والعلوم الكونية ، فنحن الشرقيين الواضعون للحكايات ، ونحن المنمقون الحكايات والقصص . وكنا أساتذة الغرب فيما صنف وأخرج من ضروب آدابه وعلومه وفنونه . فعندما نجمت حكايات كليلة ودمنة وقصص ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة بن شداد ، وما اليها . وكذلك عند اليونان ، وهم شرقيون ، خرجت الألياذة والأوديسه وحكايات أذوب على السنة الحيوانات .

وكتاب كليلة ودمنة الذي وضع حكاياته الفيلسوف بيدبا الهندي على ألسنة البهائم والطير ونقله الى العربية الكاتب البليغ عبد الله بن المقفع ، كتاب جمع الحكمة الى اللهو ، وقرن الأدب الناصع بالفوائد والعبر ، اذ يقرأ من قرأه ، مثلا في باب الأسد والثور كيف يقطع الكذوب المحتال بين المتحابين . فاذا هو يرشف من معين ما يتلو من ذلك وتضاعيفه شعوبا من القول الناصع ، والفلسفة العالية ، والأدب البارع والموعظة البالغة . وهكذا في كل ما يتلو من حكاياته : كالحمامة المطوقة ، والبوم والغربان ، والناسك وابن عرس ، والحمامة والثعلب ، ومالك الحزين ، وما الى ذلك .

وكتاب كليلة ودمنة ، عدا ما حوى من فنون الحكمة والأمثال والمواعظ ، يعد من أركان الأدب وعيون مصنفاته . وقد عدوا من ذلك لمن شاء أن يضرب بعرق في اللغة والبيان ، وأن يتمكن من أعناق نواصع الكلم ، ويستقي من مشرع الفصاحة وموردها ، ويعد الكاتب البليغ المالك قياد البيان والفصاحة العربية أربعة دواوين هي : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي . ولك أن تضم اليها كتاب الأغاني للأصفهاني ، وخزانة الأدب للبغدادي ، والعقد الفريد لابن عبد ربه . وكذلك هو كتاب كليلة ودمنة يقرن الى هذه الدواوين ويضم . وأنه في جمله نفائس مصنفات الأدب العربي ، ليلي الصدارة والمرتبة السنية .

وقد اشتهر في وضع القصة والرواية في الغرب كثيرون من فرنسيين وانجليز وغيرهم . أما الحكاية ، وهي التي نحن بصدد منها ، وهي موضوع هذا البحث ، فأشهر من ألف فيها وأبدع الكاتب والشاعر الفرنسي «لافونتين» .

وقد سبق «لافونتين» أزوب اليوناني الذي وضع حكاياته نثرا قبل المسيح بخمسمائة عام . و «فيدر» اللاتيني في القرن الأول بعد المسيح . وقد عاصر «لافونتين» كثيرون من الكتاب ممن اشتهروا بوضع الحكايات مثل فورتيير (Furetiere) وبنسراد (Banserade) ومدام فيلديو (Villedieu) وغيرهم ، وجاء بعد لافونتين ، فلوريان (Florian) في القرن الثامن عشر . وهو بعد لافونتين يعد من أشهر من ذكرنا هنا من واضعي القصص .

أما لافونتين فلم يفر فرية عبقري فيما وضع من الحكايات في كتابه على ألسنة البهائم والطير ، بالشعر البارع يصوغه صياغة الحاذق الذي يركب الكلم في أبدع نقش ، وآنق تنسيق وله فيه ألوان وأفانين يكسوها المعاني ما رق منها ولطف حتى نراها في نقشها وتصويرها قد نطقت بأحسن بيان وأفصح تعبير .

وولد لافونتين عام ١٦٢١م واسمه «جان دو لافونتين» . أولع في حداثته ، وغلواء شبابه بمطالعة كتب الدين ، وراض نفسه على الورع والتقوى ، والتحق بجمعية طائفية دينية بروم التهيؤ للكهنوت ، ولكنه برم بما انتوى ، ولم يلبث أن صد عن هذا الباب وعاف اللاهوت ، وما اختاره لنفسه . فولي وظيفة أبيه الحكومية خلفا له ولكنه للذي فطر عليه من الهيام بالاستقلال وما ركز في طبعه من السبح في دنيا الأحلام والخيالات ، أجم الوظيفة ، ولم يولها أية عناية فدابرها وراح الى الشعر الذي تعلقه منذ طر عذاره . يتلوه فيما تطول يده من دواوين الشعراء

قديمهم وحديثهم ، أو ينظمه في شؤونه وشجونه . وانكب يلتقط الكتب يتدارسها فلم يدع منها ولم يذر ، لأشتات وصنوف من المصنفين ، سواء كانوا فرنسيين أو ايطاليين ، أو اسبانيين ، قصصيين كانوا أو شعراء ، وخلط ذلك بدراسة كتاب القديم عباقرة الشعر والنثر منهم كفرجيل وبلوتارك وأفلاطون . وتشبع للقديم وشرب منه بالكأس الروية . يرى مقررات معارفهم . وقوانين فنونهم كأنما تنزلت تنزيلا .

وتزوج وهو في السادسة والعشرين بامرأة فعل من يجامل في هذا الزواج ، لا رغبة فيه ولا استخارة ينساق اليه كمن يلبي دعوة الى مأدبة ينال منها منال العابر لا يستقر ولا يطول به الثواء . وما كان يجوز لمثل لافونتين ، بما غرز في طبائعه من النفور من كل قيد وقر ، أن يقدم على زواج يتنكر له ويكاشحه . فانه ما عتم أن ألقى حبلها على غاربها ، ونبذها هي وابنها الصغير الذي وضعته ، فكان يتيما وما هو بيتيم .

وكان «فوكيه» وزير المالية في ذلك العهد ، رجلا وجيها ذا ثراء عظيم وفيه ما شئت من العطف والحدب على رجال الشعر والأدب يلوذون بكنفه ويغدق عليهم من صلاته . فصحب لافونتين أحد ذوي قرباه ممن لهم عند «فوكيه» خصوصية دالة وقدمه اليه . فأجرى عليه معاشا وفيرا . وأنزله في قصره الفخم ثاويا في نعمة وخفض . الى أن تكشفت اختلاسات الوزير «فوكيه» وطرح في السجن الى أن مات فيه . فآوت الدوقة «دورليان» الشاعر لافونتين في قصرها . وكانت كذلك ذات رعاية ولطف بنوابغ الشعر والأدب . فأكرمت لديها نزله . وأجرت عليه رزقا وفيرا فنعم بعيش أخضر . وقر عينا بصلات الود المتين والخلطة المتواصلة بفحول الشعر والأدب ممن يرتادون قصر الأميرة أمثال راسين وموليير .

والعجيب أن لافونتين كان رجلا حظيظا قد طارحته الأيام ودها وصفوها ، فقد لقي من دهره اقبالا لا ينقطع ولا ينضب معينه . ظفر بما يشتهي من عيش لا يحمل معه هما ، ولا يكلف فيه سعيا ولا كدا ، كأنما هو على حد قول الامام الشافعي : « لو كلفت بصلة ما فقهت مسألة » .

أجل فقد لبث طول حياته في رعاية وضيافة ذوي الجاه والثراء ، لا يكدح لرزق ولا يهم لمشغله مفرغا قلبه لقلمه ، مكبا على ابداع ما تجود به عليه قريحته ، وتوحي اليه عبقريته من تصنيف وتدبيج . ما به هم لملبس أو مطعم أو مسكن أو عمل ، أو كما قالت الاعرابية :

فتملأ بيتنـــا سمنـا واقطـــا
وحسبك من غنى شبع وري

كانت حياته مذاقة من لذيذ العيش يتطعمها مدة حياته في دهر غفول ومتعة سابغة . ذلك أنه بعد وفاة الدوقة «دورليان» لقي المثوى والقرى والرزق الوفير في قصر مدام «دولا سابليير» ، وهي امرأة برزة كيسة فاضلة ذات ذكاء وافر . كان لها كذلك رعاية وحدب على رجال العلم والأدب المبرزين . فعاش في قصرها عزيزا كريما الى أن بلغ الثانية والسبعين من عمره . لقد قضى في رحب قراها اثنين وعشرين عاما أسوية ، حتى اذا ماتت انتقل أيضا الى قصر صديق له قضى فيه العامين الباقيين من عمره المديد ، اذ توفي عام ١٦٩٥ عن ٧٤ سنة . وفي علة وفاته لزم الدار وأمسى قعيدا . وقد كتب يومئذ الى صديقه الوفي الشاعر «موكروا» في مرضه ، وهو على جناح من فراق الدنيا ، قال فيما قال : « انه يتوقع الا تطول بقية أيامه الأخيرة عن أسبوعين اثنين » .. ولكنه عاش شهرين أيضا .

وانتخب عام ١٦٨٣ ، وكان في الثانية والستين من عمره ، عضوا في المجمع اللغوي المعروف بالأكاديمي . فنعم هناك بلذات البحوث الأدبية وصحبة زملائه الممتعة من أعضاء المجمع .

حكاياته وشعره

أخرجها للناس عام ١٦٦٨ ، وقد أشرف على الخمسين حولا ، نشر المجموعة الأولى منها في ستة كتب بعنوان متواضع فلقبها « حكايات أزوب منظومة بقلم لافونتين » . ثم والى نشر غيرها حتى بلغت زهاء ثلاثمائة حكاية تجلت فيها شخصيته وعلا كعبه ، وسطع اشراق عبقريته . فظفرت باعجاب عام كأنه السحر الحلال . وبذكر عاطر خالد على مر الأجيال وتقلب الأحوال .

كان يقتبس موضوع حكاياته من المؤلفين القدماء كأزوب ، وفيدر ، وهوراس ، وأوفيد ، كما أخذ من المعاصرين له من الكتاب أمثال أبستيموس ، دفاتر الايطاليين ، ومارو ، ورينيه الفرنسيين . لم يدع أن يقبس الكثير من بيدبا الهندي صاحب كتاب كليلة ودمنة . ولكنه كان في تقليده واقتباسه الحكاية ، انما يكسوها شخصيته ، ويصبها في قالب عبقريته . فاذا هي خلق جديد ، قد قطعت الرحم بينها وبين منشئها ، وصارت من أصلها الذي أخذت منه غريبة نائية . اذ كان مفزعه في سبكها الى نفسه ، وتعويله على رأيه . قد أخذ منها بأسباب محكمات ، وقد أحاط بموضوعه علما ، وأبرح فنا وخلقا .

كان يبتكر ويبدع ، ويضع الحكاية في اطار لطيف ، ويطرح عليها أصباغا من نبع قريحته الوقادة في نقش عجيب ، وحبك مسرحي بديع لا يصدر الا من الهام عبقريته . فما هي مجرد سرد له في سطور ، وفي الذيل منها مغزاها ، كما في حكايات أزوب ، بل نسيج فنان مبدع ، وحبك تمثيل مسرحي يعجب الناظرين ويطرب السامعين . حيوانات وطيور في حكاياته . أشخاص يتحاورون ويتساجلون ، قد عرفت أخلاقهم كما ينقشها لك فردا فردا في أدق وصف ، وأروع نقش ، وأصدق تحليل . فأنت في حكاياته تلك انما تتلو رواية هزلية من نبع فيض عميم ، ذات مائة فصل ، أنواعا وأشتاتا . مناظرها ومشاهدها هذا الكون بأسره . فاذا أنت تناولت كل حكاية منها على حدة ، ألفيتها قطعة تمثيلية كاملة شاملة بمقدمتها وحوادثها ، ومواقفها وختامها . وما يعرضه عليك فيها من أخلاق أفرادها وحركاتهم ومختلف هيئاتهم ومجرى حوارهم ، فذاك نقش رسام حاذق ، والبصير الممعن الملاحظة والنظرة . ثم يتوجها تارة بالحكمة البالغة ، ويذيلها أخرى بالعظة النافعة .

وقد أجمع علماء الطبيعة والحيوان أن لافونتين قد وصف البهائم وصفا صادقا ، ورسم نقوشها بدقة العالم الخبير . فقد نحل كلا منها من الأخلاق والخصال ما يطابق غرائزها ، حذوك النعل بالنعل ، أو ما يتفق وقسمات وجوهها . وتكوين أبدانها . فالثور قد مثله لنا في شخص الرجل الوقور المفكر ينثر الحكمة ، ويتمثل بالأمثال ، والذبابة بالثرثرة والوقاحة ، والقطة بالرياء ، والحمار بالصبر والطيبة . لقد درس حيواناته دراسة محتفل مستقص متحدب عليها ، مخالفا بذلك آراء رجال عصره الذين كانوا يذهبون مذهب «ديكارت» في أن الحيوانات ما هي الا مجرد آلات تغدو وتروح . فأنكر ذلك المذهب الخاطئ الجائر . كما أنه كان يخالف كتاب عصره في حبه البالغ الشديد للطبيعة .

وبعد ، فان حكايات لافونتين قد حظيت باعجاب كبار الكتاب في عهده — ولا تزال الى يومنا هذا يتناولها القارئون في كل مكان باستطابة وطرب بالغين ■

أحمد أبو الخضر منسي — القاهرة



بقلم الاستاذ نقولا شاهين

حُبُّ السَّلامةِ يُثني همَّ صاحبِهِ ... عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسلِ

فإنْ جنحتَ إليهِ فاتّخذْ نفقاً ... في الأرضِ أوْ سُلّماً في الجوِّ فاعتزلِ

ودعْ غمارَ العُلى للمُقدِمينَ على ... رُكوبِها واقتنعْ منهنَّ بالبللِ

الطغرائي

يتحلَّى رجالُ الفضاءِ بعلوِّ الهمَّةِ والجُرأةِ عندَ القيامِ بمُغامراتِهِم المبنيَّةِ على أُسسٍ تقنيَّةٍ والّتي تسندُها ملايينُ الأجهزةِ العلميَّةِ، هدفُهُمْ في ذلكَ سبْرُ أغوارِ الفضاءِ الرّحبِ واجتلاءُ ما غمضَ من الأنظمةِ الدّقيقةِ الّتي تُسيِّرُ هذا الكونَ الواسعَ والّتي تدلُّ دلالةً واضحةً على عظمةِ خالقِ الكونِ

رسم يبين عملية اتصال مركبة القيادة « أبوللو » بالمحطة الفضائية « سكاي‌لاب » التي تعتبر أول مختبر علمي مداري من نوعه يستعين به رواد الفضاء في اجراء التجارب العلمية في الفضاء الخارجي .
تصوير : يو . بي . آي

لقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية انتهاء برنامج « أبوللو » الرامي الى ارساء مراكب فضائية مأهولة على سطح القمر والعودة منه الى الأرض . وكانت آخر مركبة أطلقت الى القمر ضمن هذا البرنامج ، «أبوللو ١٧». وقد قامت برحلتها في ٧ كانون الأول من عام ١٩٧٢ . وخلال هذه الرحلة تمكن ملاحا المركبة من البقاء على سطح القمر ٧٥ ساعة ، وقاما بثلاث جولات وهما داخل سيارتهما التي بلغت تكاليفها ١٣ مليون دولار ، كما عادا بعينات من الصخور والأتربة القمرية بلغ وزنها ١٥١ كيلوغراما ، من بينها نماذج من التراب البرتقالي اللون . وبهذا يكون مجموع ما عاد به رواد « أبوللو » من عينات للصخور والأتربة القمرية منذ أول رحلة حتى الآن ٤٢٠ كيلوغراما ، بالاضافة الى المعلومات العامة وآلاف الصور التي التقطوها للقمر عن قرب ، وقد ترك الرواد على سطح القمر أثناء رحلاتهم الخمس ، عددا من المحطات بأجهزتها الكاملة ، بثت ولا تزال تبث معلومات الى الأرض تساعد على فهم طبيعة سطح القمر وباطنه ، وما يحتمل أن يحدث هناك من ظواهر زلزالية أو اشعاعات راديومية ، أو مجالات مغنطيسية أو خلاف ذلك .

ومن المعروف أن تكاليف مشروع « أبوللو » بلغت ٢٤٠٠٠ مليون دولار ، وهو أضخم مبلغ انفق على أي مشروع علمي . فليس غريبا اذن أن تقف أميركا عند هذا الحد في في برنامج « أبوللو » ، استنادا الى أهمية ما تم معرفته ضمن البرنامج عن طريق الدراسات الفلكية والفيزيائية ، كمقدار قوة الجاذبية على سطح القمر ، وعدم وجود هواء أو بخار ماء على سطحه ، وعلو الجبال القمرية ، وغير ذلك من أمور عديدة تتعلق بأبحاث الفضاء .

وبالرغم من كل الصعوبات التي رافقت مشاريع الفضاء ، فان الأبحاث والدراسات ما زالت مستمرة بهدف الوصول الى سطح الكواكب السيارة الواقعة ضمن النظام الشمسي . لذا فان هنالك برامج أخرى يتبناها العلماء لتحقيق أهدافهم تلك .

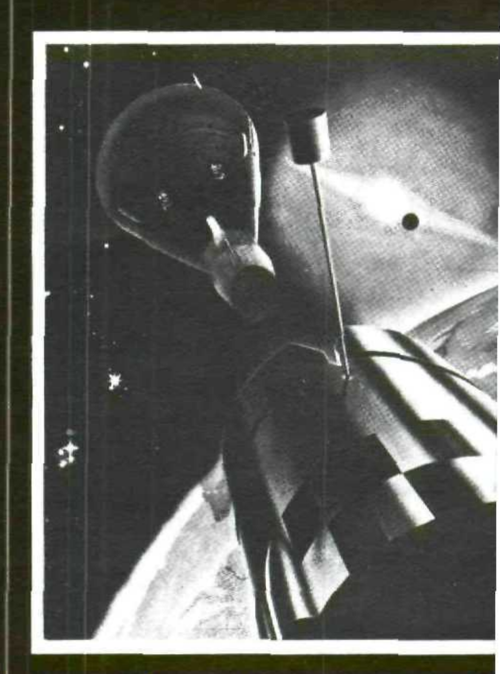
المحطة الفضائية أو « سكاي لاب »

ينصرف العلماء الأميركيون في أعقاب رحلة « أبوللو-١٧ » ، الى بناء محطة فضائية مدارية يمكن ان تكون مأهولة وتتوفر فيها الشروط اللازمة للاستكشاف المستمر في الفضاء ، بما في ذلك التأثيرات التي يتعرض لها الانسان أثناء بقائه في الفضاء زمنا طويلا ، حيث لا يوجد هواء ولا أثر يذكر للجاذبية . وبعد ذلك يصبح بالامكان ارسال الانسان في رحلات طويلة الأمد للعمل في محطة فضائية ، أو لتمديد اقامته على كوكب من كواكب المجموعة الشمسية .

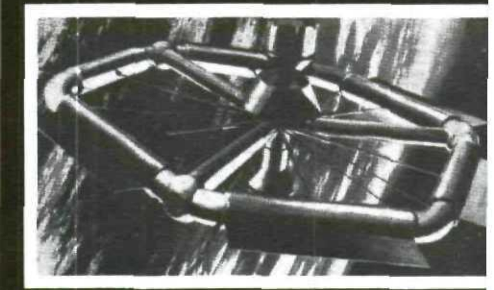
وقد أطلقت محطة فضائية غير مأهولة « Sky Lab » لتكون بمثابة مختبر علمي ، وتعرضت لخلل في الدرع الواقي من أشعة الشمس قام باصلاحه ثلاثة من الرواد الذين سافروا اليها من الأرض . ومن المقرر أن تطلق عما قريب محطة فضائية مأهولة للغرض نفسه . وقد وضع تصميم يبين أن بناء المحطة الفضائية المأهولة يتم على مراحل مستقلة ، ويقسمها الى أجزاء تشتمل على مركز للقيادة ، ومكان لاقامة طاقم مكون من ١٢ ملاحا ، وأجهزة لتنسيق المعلومات ، وأماكن للترفيه وللخدمات الطبية وخلاف ذلك . ويبلغ حجم المجال الحيوي في هذه المحطة ٣٥٠ مترا مكعبا .

وسيكون للمركبة الرئيسية طاقة تمكنها من العمل لمدة عشر سنوات ، وبالامكان توسيعها وهي في الفضاء ، لتصبح محطة تتسع لخمسين شخصا ، وذلك باضافة روافد أنبوبية تؤدي الى مركبات أخرى لأغراض مختلفة . وهناك جهاز واحد يتألف من صاروخ اضافي مساند ومركبة مدارية ، يستطيع نقل ما يتراوح بين ١٢ و ٢٥ طنا من الحمولة في رحلات يبلغ عددها المائة كحد أقصى . ويقوم هذا الصاروخ المساند بايصال المركبة المدارية الى حافة الفضاء حيث يتم فصل الوحدتين ، وبعدها يعود الصاروخ الى الأرض ليهبط في أحد المطارات . وتواصل المركبة المدارية رحلتها للالتقاء بالمحطة الفضائية حيث تفرغ حمولتها الأرضية في المحطة لتنقل الركاب العائدين .

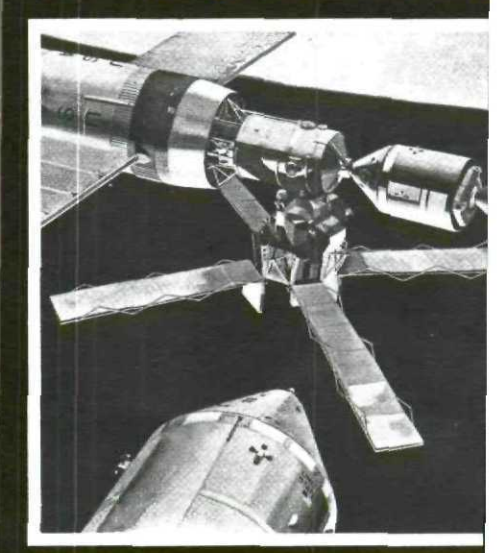
واذا أراد الله أن يتم كل شيء على ما يرام حسب الخطة المرسومة ، فان رجال الفضاء الأمريكيين سيتمكنون من البقاء في جو الأرض مدة ١٤٠ يوما متواصلا ، وهي أطول مدة يقضيها رجال الفضاء حتى الآن . ومن ناحية أخرى ، فقد تقرر في عام ١٩٧٥ أن يقوم الاتحاد السوفياتي بالتعاون مع الولايات المتحدة في تنفيذ برامج مشتركة في هذا المجال ترمي الى تحقيق أول لقاء والتحام بين المركبة الفضائية الروسية « سويوز » والمركبة الفضائية الأمريكية « أبوللو » . كما ينتظر في عام ١٩٧٨ أن يبدأ تحليق المكوك الفضائي .



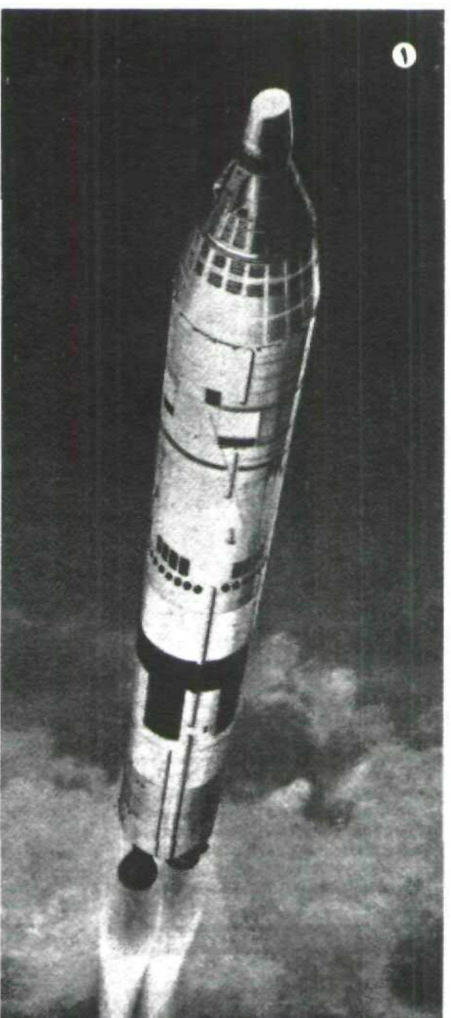
ركبة الفضائية «جيمني» ومركبة الهدف «أجينا» وهي من ركبات الامريكية على وشك اللقاء والاتصال في الفضاء.

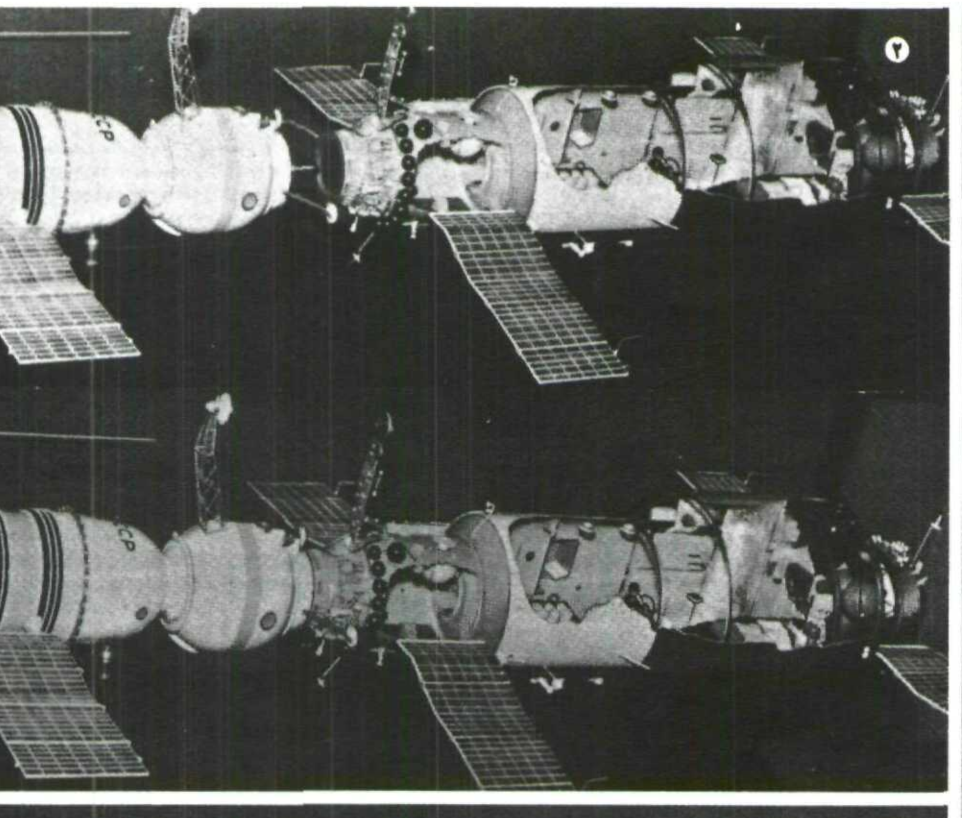


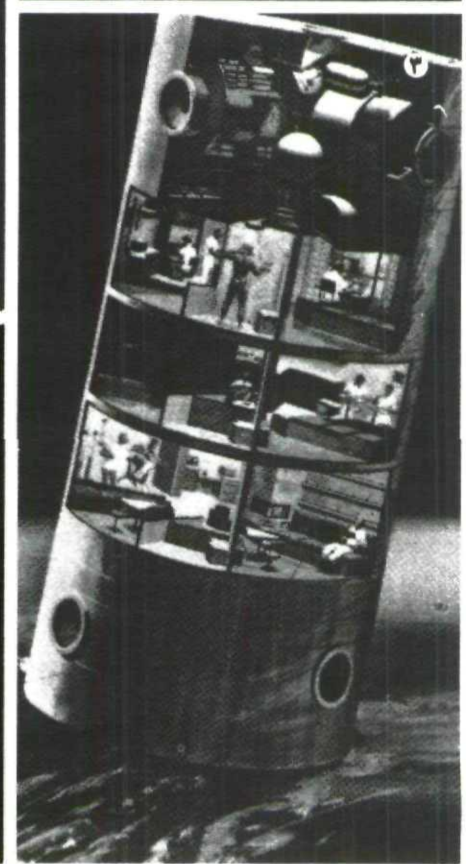
م يمثل محطة فضائية يعكف الاتحاد السوفياتي على صميمها ، وهي تشبه عجلة تتألف من قطعة مركزية جهزة بقطع للاتصال والالتحام .. وتنضم الى القطعة ركزية مركبات فضائية من نوع «سويوز»

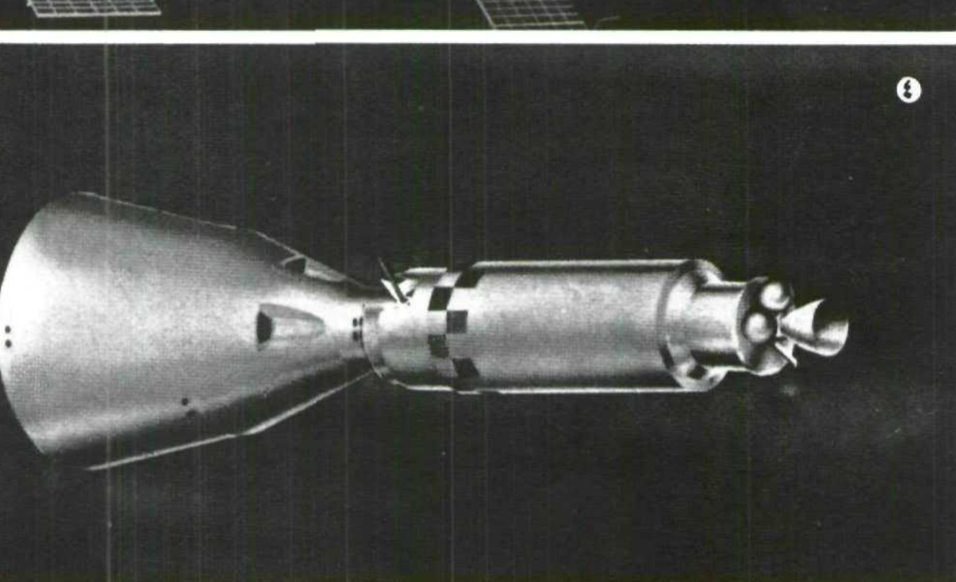


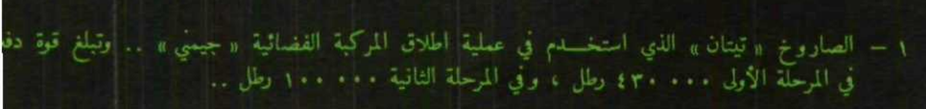
يمثل كيفية تجميع أجزاء المحطة الفضائية في الفضاء المستقبل ، وذلك ضمن البرنامج المشترك المزمع تحقيقه ن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي ..











١ – الصاروخ «تيتان» الذي استخـــدم في عملية اطلاق المركبة الفضائية «جيمني» .. وتبلغ قوة دف
في المرحلة الأولى ٤٣٠٠٠٠ رطل ، وفي المرحلة الثانية ١٠٠٠٠٠ رطل ..

٢ – سفينة الفضاء «سويوز–١١» والمحطة الفضائية «ساليوت»– كما تخيلها الفنان–وذلك قبل التحامه
في أعلى الرسم ، وبعد التحامهما في أسفل الرسم .

٣ – نموذج لاحدى محطـــات التقوية المزمع انشاؤها في الفضاء واستخدامها في الرحــلات المأهولة ا
كوكب المريخ ..

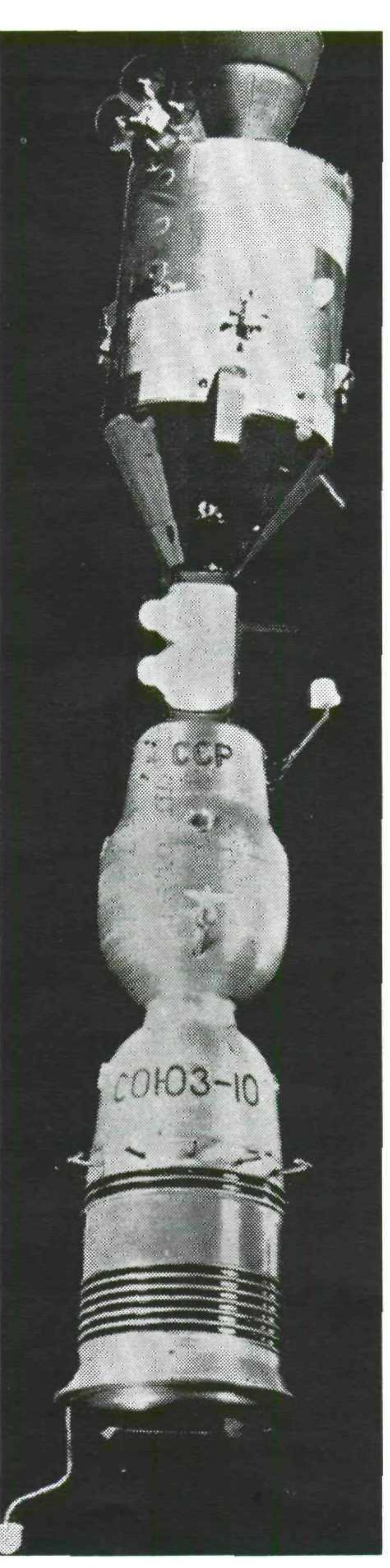
٤ – صورة تبين عملية اللقاء والالتحام التي تمت بين المركبة الفضائية «جيمني» والصاروخ «أجينا» .

لقاءات في الفضاء

اذا ألقينا نظرة على مخططات الرحلات الفضائية ، فاننا نجد أن سلامة الرواد تأتي في مقدمة الاعتبارات التي يضعها القائمون على تنفيذها نصب أعينهم ، وقد أجريت تجارب عديدة في مختبرات علمية على سطح الأرض ، وفي مختبرات مدارية ، للتأكد من نجاح ارسال بشر الى القمر ، كما سبق وتحقق ، أو كما ينتظر تحقيقه في المستقبل من ارسال بشر الى كوكب المريخ . والدليل على دقة الأبحاث التي مهدت لهذه الرحلات ، هو عدم وقوع حوادث تذكر لرجال الفضاء أثناء فترات تدريبهم أو أثناء وجودهم في مدارات حول الأرض ، أو على سطح القمر والعودة منه الى الأرض بسلام .

ولعل من أبرز ما أنجزه العلماء في التمهيد للرحلات الفضائية ولاقامة محطة فضائية عبر الفضاء ، تلك اللقاءات الرائعة المختلفة التي تمت بين مركبات مأهولة أو غير مأهولة ، تحكمت في تحركاتها أجهزة الكترونية وآلية ، وفضلا عن هذا فقد أرسل علماء الفضاء ضفدعين لمدة ثلاثة أيام في مدار أرضي ، وكانت آذانهما متصلة بأجهزة الكترونية تؤمن الابراق الى الأرض . وقد تبين من نتائج الدراسات أن الأذن الداخلية في هذه الحيوانات ، كيفت نفسها لحالة انعدام الوزن بعد ثلاثة أيام من عدم التوجيه ، وكانت قبلها قد فقدت توازنها ، وهذا دليل على أن الانسان يستطيع البقاء مدة طويلة في الفضاء ، دون الحاجة الى جاذبية اصطناعية .

قام العلماء السوفيات في الثامن عشر من من مارس ١٩٥٨ باطلاق سفينة تدعى « فوسخود الثانية » وعلى متنها القائد « بيليابيف » ومعاونه « ألكسي ليونوف » . وقد تمكن هذا الأخير من مغادرة الكبسولة والابتعاد عنها في الفضاء الكوني مسافة خمسة أمتار ولمدة ٢٠ دقيقة قضى عشرا منها سابحا في الفضاء وهو يرتدي بزة خاصة مزودة بأجهزة تسجيل ، فنجح في القيام بسلسلة من الدراسات وأعمال المراقبة المنوطة به دون أن ينتابه أي شعور سيء خلال وجوده في الفضاء الكوني ، ولدى رجوعه الى السفينة الأم . فكانت تلك الخطوة اشارة الى ما ينوي العلماء السوفيات انجازه في حقل الفضاء ، في محاولة التحام سفينتين معا في الفضاء ، وذلك تمهيدا لارسال محطة فضائية تكون بمثابة نقطة انطلاق بدلا من الأرض ، أو مركزا لرصد الأجرام السماوية بعيدا عن الغلاف الهوائي .



رسم توضيحي للرحلة المشتركة التي يتوقع أن تقوم بها سفينتا الفضاء « سويوز » السوفياتية و « أبوللو » الأمريكية في عام ١٩٧٥ ، وفيها يتم لقاء المركبتين .

وفي عام ١٩٦٦ حقق الأميركيون لقاء في الفضاء عندما اتصلت المركبة « جيمني » مع مركبة الهدف « أجينا » فوق شاطئ البرازيل فكان ذلك حافزا لتنفيذ فكرة اقامة محطات فضائية ضخمة ، تركب أجزاؤها في الفضاء وتزود بالوقود هناك . ولا يخفى على أحد ما يترتب على هذه العملية من استخدام أجهزة دقيقة تمكن الانسان من اجراء مناورات متعددة ، وانتقال المركبة من مدار الى آخر ، وتحقيق عملية الاقتراب وعملية الوصل بعد تخفيض السرعة النسبية بين المركبة والصاروخ الى نحو ٣ كيلومترات في الساعة ، بالرغم من أن سرعة انطلاق المركبتين حول الأرض تبلغ حوالي ٢٨٨٠٠ كيلومتر في الساعة .

هذا ، وقد تمكن العلماء السوفيات في سنة ١٩٦٨ من تحقيق اتصال عربتين فضائيتين ببعضهما البعض بصورة تلقائية من الأرض ، ثم اتبعوا ذلك بحادث شبيه بذلك الحادث الذي تم في شهر ابريل من العام ذاته ، وذلك بربط « كوسموس ٢١٢ » و « كوسموس ٢١٣ » مباشرة من الأرض . وكانت هذه المركبات من نوع « سويوز » ، وتتسع كل منها لثلاثة أو ستة أشخاص . وعندما يتحقق اتصال أربع أو خمس عربات منها ، يصبح لدى علماء الفضاء محطة تصلح لأن تكون قاعدة لمركبة فضائية تطلق الى القمر . وفي عام ١٩٦٩ ، حقق رواد الفضاء السوفيات التصاق العربتين «سويوز—٤» و «سويوز—٥» وهما تدوران حول الأرض ، وشكلت العربتان أول محطة تجريبية فضائية .

المحطة الفضائية «ساليوت»

لا شك في أن عملية ارتباط سفينة الفضاء « سويوز ١١ » بالمحطة الفضائية « ساليوت » كانت أروع عملية يجري تحقيقها في حقل اللقاءات الفضائية ، وتمهيدا جذريا لاقامة محطة فضائية مدارية تتوفر فيها شروط بقاء العلماء زمنا طويلا بعيدين عن جو الأرض ، لاجراء اختبارات علمية متعددة . وقد أطلقت المحطة الفضائية « ساليوت » في ١٩ أبريل عام ١٩٧١ ، وسفينة الفضاء « سويوز ١١ » في ٦ يونيو من العام نفسه ، وفي داخلها ثلاثة من رواد الفضاء ، وفي اليوم التالي لاطلاقهم قاموا بعملية التحام بين السفينة « سويوز ١١ » والمحطة الفضائية

« ساليوت » التي كانت تنطلق في مدارها . وقضى الرواد الثلاثة ٢٣ يوما و ١٧ ساعة و ٤٠ دقيقة في المحطة المدارية « ساليوت » ، وكانت هذه أطول مدة قضاها أي انسان في الفضاء الخارجي ، وقد أجرى الرواد خلالها عديدا من التجارب والاختبارات الفلكية والبيئية والطبية ، بما فيها دراسة الخصائص والظواهر الطبيعية في الجو والفضاء الخارجي ، في مختلف مجالات الاشعاع الكهرطيسي .

وبعد قضاء هذه المدة الطويلة داخل المحطة الفضائية « ساليوت » ، تلقى الرواد توجيهات من محطة المراقبة الأرضية للعودة الى الأرض . وتمهيدا لعودتهم الى الأرض قام الرواد بنقل معدات البحث العلمي من السفينة « ساليوت » الى المحطة الفضائية « سويوز — ١١ » ، كما قاموا بفحص آلات سفينة العودة وجميع أجهزتها ، واتموا عملية انفصال المحطة « سويوز — ١١ » عن السفينة « ساليوت » ، وكان ذلك في ٢٩ يونيه عام ١٩٧١ . ولسوء الحظ لاقى الرواد الثلاثة حتفهم في طريق عودتهم الى الأرض في اليوم الذي تلاه (٣٠ يونية) .

ومن بين الانتصارات العلمية التي حققها رواد الفضاء خلال رحلاتهم أنهم أقاموا أول حديقة في الفضاء وزرعوا فيها بصلا وملفوفا تمهيدا لزرع حدائق فضائية تابعة لتجمع فضائي في المستقبل ، وقد ثبت أنه بالامكان زرع نباتات وانماؤها دون تربة ، وذلك بواسطة الماء وبعض المخصبات ، ويعتبر هذا الأمر من أهم الأمور الرامية الى تأمين موارد الغذاء عندما يتيسر للانسان أن يبقى زمنا طويلا في الفضاء .

أما محطة الفضاء « ساليوت » فانها ظلت تعمل بنجاح الى أن انتهت مهمتها ، ثم أخذت تهبط باتجاه انحداري حتى دخلت الطبقات الكثيفة في الجو فوق منطقة من المحيط الهادئ ، واحترقت في مساء ١٥ أكتوبر بعد أن بقيت في الفضاء نحو ٦ أشهر أتمت خلالها ١٤٩٠ دورة حول الأرض .

الصاروخ النووي « نيرفا »

تتعاون لجنة الفلك والفضاء الأميركية مع لجنة الطاقة الذرية للوصول الى مرحلة في الدفع النووي ، تمكن الصاروخ « ساتورن — ٥ » من زيادة حمولته الى ٢٥٠ طنا ، وذلك في عام ١٩٧٦ ، أما المحرك النووي الذي لا يزال في دور التطور والانشاء ، والمعروف باسم « نيرفا »



صورة فوتوغرافية للسفينة الفضائية « سويوز — ١١ » قبيل التحامها بمحطة الفضاء « ساليوت » في يونيو ١٩٧١ . تصوير : يو . بي . آي

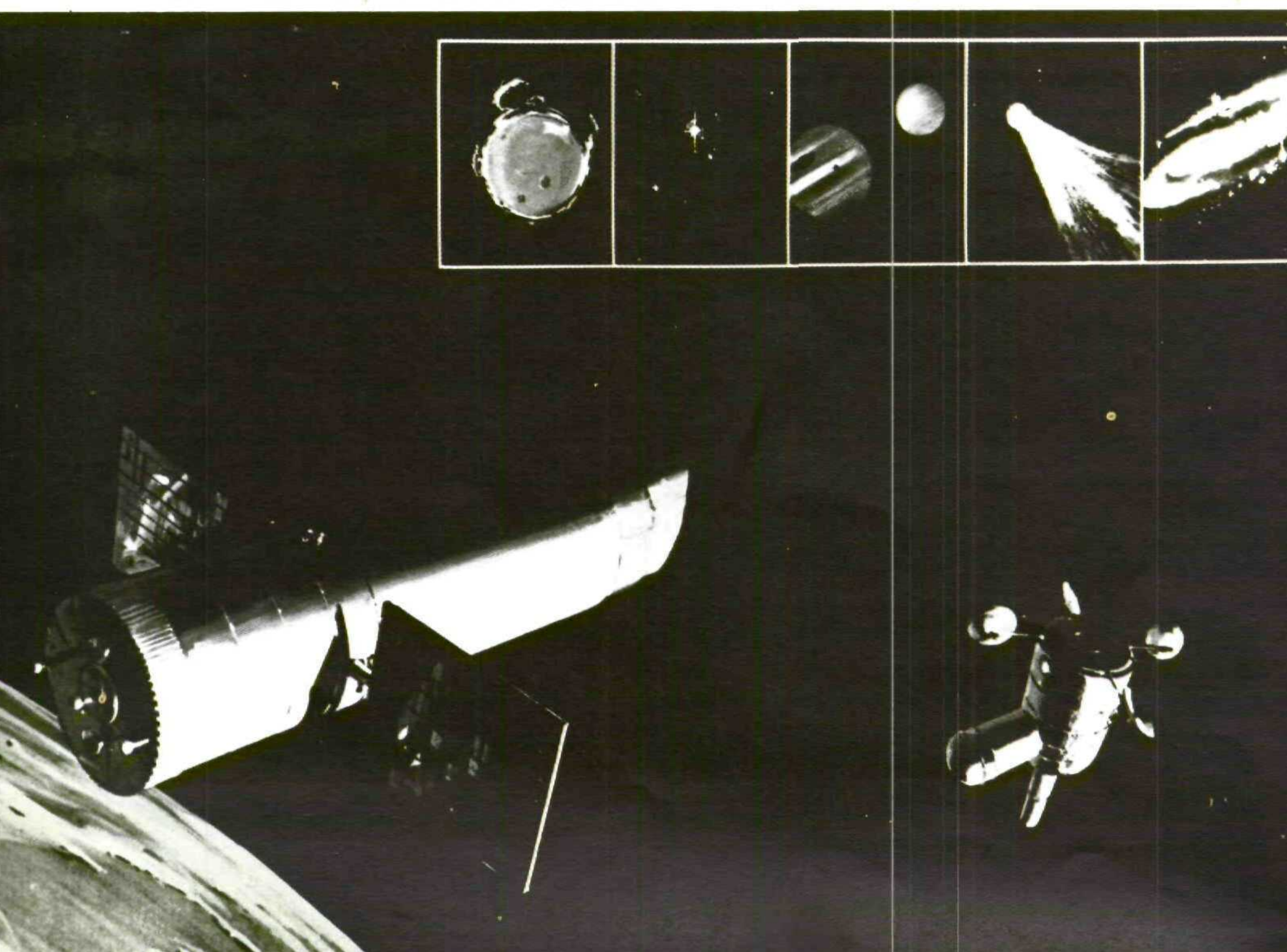
فانه يستطيع توليد قوة دفع في الفراغ تبلغ ٣٤ طنا . وتقوم احدى الشركات بدرس وحدة نووية قطرها نحو ١٠ أمتار ، توضع في مدار الأرض بواسطة عربة « ساتورن — ٥ » الدافعة ، ويعاد تزويدها بالوقود عن طريق المكوك الفضائي . ومن جهة ثانية تعكف شركة أخرى على صنع وحدة معدلة يقوم مكوك فضائي بنقل أجزائها النووية الى المدار الفضائي لها ، حيث يتم تجميعها هناك لتصبح وحدة كاملة .

وقد أطلق أول صاروخ من نوع « نيرفا » في شهر مارس ١٩٦٩ بعد جهود علمية دامت نحو ٢٠ سنة في حقل تطوير استخدام الطاقة النووية ، وسيكون هذا الصاروخ مطية المحركات الفضائية مدة ٢٠ سنة في المستقبل . وكانت قوة الدفع في هذا الصاروخ تبلغ ٥٠٠٠٠ رطل ، وقد تم تركيبه على نمط المحركات الطائرة ، وقد سارت الأمور على ما يرام ، مما شجع على اتخاذه خطوة تالية للبدء في بناء وحدة للتحليق تبلغ قوة الدفع فيها ٧٥٠٠٠ رطل . وينتظر أن يصبح الصاروخ النووي جاهزا للعمل في الفضاء خلال عام ١٩٧٧ ، ويتوقع أن يستمر في العمل مدة عشر سنوات ويولد طاقة كهربائية مقدارها ٢٥ كيلوواط .

لم يصمم صاروخ « نيرفا » ليولد قوة دفع تكفي لرفع أحمال ثقيلة من الأرض ، كما هي الحال في صاروخ « ساتورن » أو « تيتان » ، لكنه سيستخدم في نقل الأجزاء العليا من المركبات الفضائية الى الفضاء، وسيبدأ بتشغيله بعد أن يتم تجميع المركبات الفضائية وبعد أن تصبح على علو يضمن عدم تسرب المواد المشعة الراديومية الى جو الأرض. وقد دخلت الطاقة النووية عالم الفضاء منذ عدة سنوات وذلك لتوليد طاقة كهربائية ، لا بد من وجودها، في داخل المركبة الفضائية . ففي عام ١٩٦٥ أطلق أول مفاعل ذري في الفضاء بلغت طاقة توليده ٥٠٠ واط من القوى الكهربائية ، وهذه الطاقة تعادل أضعاف ما يمكن انتاجه عن طريق الخلايا الشمسية . وسيبقى هذا المفاعل في الفضاء مدة ٣٥٠٠ سنة قبل أن يعود الى الأرض ، وقد وضع في مدار مرتفع يضمن استهلاك الوقود الراديومي وانتشاره بعيدا عن الأرض ، قبل عودة المفاعل اليها . وبلغ وزن هذا المفاعل ١١٠ كيلوغرامات ، وهو يحتوي على ٣٧ عارضة من وقود ذري هو مزيج من أورانيوم — ٢٣٥ ومواد أخرى ■

نقولا شاهين — بيروت

رسم تخيله الفنان لإحدى المركبات الفضائية التي تعتزم وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية تطويرها ، ووضعها في مدار دائم حول الأرض . تصوير : « ناسا »



من حصاد الكتب

الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة

تأليف

الاستاذ الدكتور أحمد هيكل

تحليل ونقد

الاستاذ الغزالي حرب

هذا كتاب ظفر مؤلفه بجائزة الدولة التقديرية في الأدب ، وقد أراد به رسم صورة مقاربة للحياة الأدبية الأندلسية ، من فتح الأندلس الى سقوط الخلافة الأموية (٧١٢م-١٠٣١م) وطبع للمرة الخامسة عام ١٩٧٠م، واستعان مؤلفه المفضال الأستاذ الدكتور أحمد هيكل على تأليفه بأكثر من تسعين مرجعا من المراجع المعتمدة ، ما بين عربي وأجنبي ، وما بين مطبوع ومخطوط ، فجاء أوفى مؤلف في موضوعه حتى كتابة هذه السطور .

وهذا الكتاب تمهيد وستة فصول :

أما التمهيد فبيان موجز لما تيسر من تاريخ اسبانيا والأندلس وجغرافيتهما ومجتمعهما قبل الفتح الاسلامي وبعده .

وأما الفصول الستة ، فقد أرخت للأدب الأندلسي شعرا ونثرا طوال كل فترة من الفترات الآتية : فترة الولاة ، ثم فترة تأسيس الامارة ، ثم فترة صراع الامارة ، ثم فترة الخلافة ، ثم فترة الحجابة ، ثم فترة الفتنة .

ويلي هذا الكتاب الكتب الأربعة الآتية التي يرجو المؤلف أن يتم بها مكتبة «الأدب الأندلسي » ، وهي كما أشار اليها في ص-١١ ثم في ص-٣٨٨ :

- كتاب عن « الأدب الأندلسي في عصر الطوائف »
- وكتاب عن « الأدب الأندلسي في عهدي المرابطين والموحدين »
- وكتاب عن « الأدب الأندلسي في العهد الغرناطي »
- وكتاب عن «خصائص الأدب الأندلسي ، وتأثيره في الآداب الأخرى ».

وفي انتظار هذه الكتب الأربعة ، نقولها كلمة موجزة في تحليل ونقد هذا الكتاب الذي هو الحلقة الأولى من سلسلة الأدب الأندلسي : لقد أحسن الدكتور المؤلف – فيما أحسن – عرض كل فصل من الفصول الستة ، كما أحسن التمهيد لها ، بأسلوبه العلمي المتأدب الجامع بين الاقناع العقلي والامتاع العاطفي ، حريصا على ما يأتي :

أولا : تعريفنا في ايجاز بالمراجع التي يرجع اليها . ويعتمد عليها في الترجمة لأية شخصية من الشخصيات الأندلسية ، وتلك طريقة سبق أن اتبعها المؤلف جورجي زيدان ، كما هو معلوم .

ثانيا : حرصه على الشرح والتحليل والنقد الأدبي لكل نص يورده نثرا أو شعرا بأسلوب ينم عن اصالة واقتدار وذوق أدبي سليم .

ثالثا : استقلال الشخصية ، ووضوح الرؤية وسداد الرأي في تحليله ونقده وموازنته ، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

- ارتياحه للتعليل العلمي المعقول القائم على أساس تاريخي ، ورفضه للتعليلات الأسطورية لتسمية شبه جزيرة ايبيريا باسم الأندلس أو باسم اسبانيا ، نسبة الى الأندلس بن طوبال بن يافث بن نوح ، كما زعم ابن سعيد ، أو نسبة الى اشبان بن طيطس ، ومن « اشبان » جاءت كلمة اسبانيا كما زعم آخرون (ص ٢١ وما بعدها) .
- صبره على عرض رأي الباحثين الشرقيين القائلين بعروبة الأندلسيين ، ثم رأي الباحثين الغربيين القائلين باسبانيتهم . وهذا هو أحدث الرأيين وقد رجحه المؤلف كما رجحه العلامة « خوليان ريبرا » لأن العرب دخلوا شبه الجزيرة أيام الفتح على هيئة جنود تزوجوا من الاسبانيات ولم يدخلوها كأسر وعائلات .
- مخالفته للمؤرخين في تحديد مدة الخلافة الأموية بالأندلس

(ص–١٩٧) قائلا : « تعود المؤرخون أن يجعلوا فترة الخلافة الأموية بالأندلس تبدأ باتخاذ عبد الرحمن الثالث لقب الخليفة الناصر لدين الله سنة ٣١٦ﻫ (٩٢٩م) وتنتهي بسقوط آخر أموي في قرطبة وقيام ابن جهور بالأمر سنة ٤٢٣ﻫ (١٠٣١م) ، وقد يكون المؤرخون على حق من الناحية الشكلية ، غير أننا لا نؤمن بالشكليات في الدرس الأدبي .. ومن هنا نعتبر فترة الخلافة الحقيقية ، هي فترة عبد الرحمن الثالث (٩١٢–٩٦١م) ثم ابنه الحكم الثاني (٩٦١–٩٧٦م) أما ما تلا ذلك من زمن حتى قيام ابن جهور بالأمر في قرطبة فلم يكن للخلافة الأموية فيه الا الاسم .. »

• شكه في صحة نسبة ما نسبوه الى طارق بن زياد من شعر لا يتجاوز ثلاثة أبيات .. ونثر تمثله خطبته المشهورة التي مطلعها « أيها الناس .. أين المفر ؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم .. الخ » ، وقد بنى شكه هذا على أربعة أسباب لها وجاهتها (ص ٨٠–٨٢) ، وشكه أيضا فيما نسبوه اليه من احراق السفن قائلا ما نصه (هامش ص ٨٢): « أما مسألة احراق السفن فلم ترد الا في كتاب « نزهة المشتاق » للادريسي (ص ١٧٨)، وهو من مؤلفي القرن الخامس الهجري، وكل المراجع السابقة قد سكتت عن تلك الحادثة تماما ، ولكن من الطريف أن فاتحا حديثا عمل نفس العمل الذي ينسب الى طارق ، وأكثر من ذلك أنه اسباني ، فعندما أشرف « هرناندو كروتيس » على شاطئ المكسيك فاتحا سنة ١٥١٩ أمر باحراق سفنه التي قدم عليها جيشه من اسبانيا ، والمعقول أن يكون القائد قد تأثر بما نسب الى طارق قبل ذلك بنحو ثمانية قرون» . وأذكر اني قرأت أن القائد الاسباني الذي فتح المكسيك عام ١٥١٩م، هو «ارنان كورتي» وليس « هرناندو كروتيس » وأنه حينما شعر بأن جنوده يدبرون مؤامرة العودة الى اسبانيا ، أغرق السفن حتى يحبط مؤامراتهم ، ولعل المثل الاسباني المعروف « أحرقت جميع سفائني » ، أي كل ما في وسعي ، له صلة بالوعي الباطني لتاريخ عادة احراق السفن أو اغراقها التي كانت شائعة في اسبانيا . ومن الأمثلة التاريخية التي أذكرها الآن ، لمسألة احراق السفن أو اغراقها ما يلي :

— القائد الحبشي « ارياط » حينما عبر البحر الأحمر الى اليمن يقال أنه أحرق سفنه ثم ألقى في جنوده خطبة حماسية .

— والقائد الفارسي القديم « وهرز » حينما أرسله كسرى ملك الفرس مع سيف بن ذي يزن الى اليمن لتحريره من الأحباش يقال أنه أحرق السفن ثم خطب في جنوده خطبة حماسية .

— ويروي لنا أبو عبد الله بن أبي عبد الله المالكي في كتابه «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم (ج١– ص ١٨٨ ، ١٨٩)» مثالا آخر بطله أسد بن الفرات فاتح جزيرة صقلية ٨٣٧ﻫ (١٢١٣م) فيقول : « ان أسد ابن الفرات وابن قادم قد اختلفا ، وذلك أن أسدا لما وصل بالناس الى صقلية أضر الجوع الناس حتى أكلوا لحم الخيل ، فمشى الناس الى ابن قادم الذي مضى الى أسد بن الفرات ، فقال له : ارجع بنا الى أفريقية ، فان حياة رجل مسلم واحد ، لأحب الينا من أهل الشرك جميعهم .. فأجابه أسد بن الفرات : ما كنت لأكسر غزوة على المسلمين وفي المسلمين خير كثير . فأبى عليه الناس ذلك ، فأراد احراق المراكب .. وهنا بدرت من ابن قادم كلمة أغضبت أسد بن الفرات ، فقال أسد : على أقل من هذا قتل عثمان بن عفان–ثم ضربه أسد ثلاثة أو أربعة سياط ، وكأنه قد ضرب فيه دعوة التردد والهزيمة ، فتم له ما أراد ، وسرعان ما عادت العزيمة القوية الى نفوس الجنود ، فقاتلوا الروم قتالا شديدا حتى هزموهم وقتلوا وأسروا منهم كثيرين . » .

واذا كانت مسألة احراق السفن لم ينسبها الى طارق الا الادريسي في « نزهة المشتاق » ، كما قال الأستاذ الدكتور المفضال ، فان خطبة طارق قد نسبها الى طارق كثير من القدامى ، ولا سيما الدينوري في « الامامة والسياسة » ، والمقري في « نفح الطيب » ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » ، كما نسبت هذه الخطبة الى طارق في تاريخ عبد الملك ابن حبيب. وقد رجح الدكتور هيكل أن طارقا أصله بربري لا فارسي ، وذلك ما رجحه المحققون الذين ذهبوا الى أنه بربري الأصل من قبيلة « نفرة » وليس فارسي الأصل من « همذان » ، ولا عربي الأصل من قبيلة « الصدف » المنتمية الى كهلان باليمن ، وهي قبيلة انتشرت في مصر وبلاد المغرب وكانت لها قرية تعرف باسمها قريبا من القيروان ، كما ذهب الى ذلك آخرون .

• ومن ظواهر استقلال الشخصية ، ووضوح الرؤية ، وسداد الرأي لدى الأستاذ الدكتور ، ترجيحه أن الموشحات قد نشأت في الأندلس ، أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وذلك ما ارتاح اليه بعامة ، غير أنني قرأت للأستاذ الدكتور شوقي ضيف في « المجلة » (العدد ١٢٢ ، فبراير ١٩٦٧) بحثا ذهب فيه الى أن ابن حجة الحموي في « خزانة الأدب » قد أورد موشحا أو موشحة لديك الجن الحمصي المتوفى في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، وهو من شعراء المشرق لا من شعراء المغرب . وهذا الموشح ، كما قال الأستاذ الدكتور شوقي ضيف : «لم يقف عليه الباحثون الى اليوم ، مما جعلهم يظنون أن فن التوشيح نبات أندلسي خالص لا عهد للشرق به . والطريف أن هذا الموشح يحمل في تضاعيفه ما يدل دلالة قاطعة على صحته من جهة ، ومن جهة ثانية على أنه أول صورة لهذا الفن المستحدث ، اذ تألفت الأدوار فيه من مشاكلة بين شطورها وبين الكلمتين الأخيرتين في الأبيات السابقة لها، التي تسمى في التوشيح باسم الاقفال والمراكز » .

ذلك رأي الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ، فما رأى الأستاذ الدكتور أحمد هيكل في هذه الموشحة المنسوبة الى ديك الجن ؟ أيقول فيها ما قاله في الموشحة المنسوبة الى ابن المعتز ، وما هي الا لمحمد ابن عبد الملك بن زهر الأندلسي – كما رجح الدكتور ، وله الحق كل الحق في هذا الترجيح ؟ حبذا لو استطاع الدكتور أحمد هيكل – في طبعة قادمة ان شاء الله – أن يعرض رأي الأستاذ الدكتور شوقي ضيف معقبا عليه بما ينصف الحقيقة والتاريخ .

• تفرقته الواعية الرائدة (هامش ص ٢١٩) بين الاتجاه « المحدث » الذي راده بشار بن برد وانتهت غايته الى أبي نواس ، وبين الاتجاه « المحافظ الجديد » وهو الاتجاه اللاحق للاتجاه الأول ، والذي بدأه أبو تمام وانتهت غايته الى أبي الطيب المتنبي . وما أحسب أن أحدا سبق الدكتور أحمد هيكل الى هذه التفرقة الدقيقة الرائدة . وفي (ص ٢٢١)

ذكر الدكتور أن « الشاعر الأندلسي ابن يحيى الريحاني نظم قصيدة رثاء بناها على مذاهب العرب ، وخرج فيها عن مذاهب المحدثين فلم يرضها العامة »، كما قال الدكتور نقلا عن « طبقات النحويين للزبيدي- (ص ٣٩٩) ». وفي مطلع (ص ٢٣٣) أشار الدكتور الى هذا الشاعر نفسه ملقبا اياه بلقب «الرياحي» فأي اللقبين أصح من الآخر؟. لم يفت الدكتور أن يعيد ذكر مرجع الزبيدي بالهامش قائلا « طبقات النحويين للزبيدي (ص ٢٩٩) » . وهنا خطأ مطبعي رقمي ما في ذلك شك .

• نقده الموفق لبعض الآراء الأدبية لأحمد أمين وأحمد ضيف في أكثر من موضع بكتابه هذا ، وكذلك نقده لابن بسام صاحب « الذخيرة » وغيره (ص ٣٦٨ وما بعدها ثم ص ٤٢٤ وما بعدها)، وقد حرص الدكتور في نقده على الدقة في الحكم للمنقود أو عليه ، فأحمد أمين «لم يكن دقيق الحكم على ابن دراج »، والدكتور أحمد ضيف « لم يكن صائب الحكم على ابن دراج بأنه لم يكن شاعرا فطريا » ، وابن بسام صاحب الذخيرة غاب عنه «أن أبا بكر هذا قد مات قبل تأليف الرسالة بزمن طويل، والذي يمكن ترجيحه أن أبا بكر الذي وجه اليه ابن شهيد رسالته هو أبو بكر الكاتب المعروف باشكمياط .. الخ» ، (ص ٤٢٤). ويبدو أن الأستاذ الدكتور لم ير أهميته للخلاف بين « ليفي بروفنسال » ومحمد عبد الله عنان في عبور موسى بن نصير جبال « البرانس » أو عدم عبورها ، فلم يكلف نفسه ترجيح رأي أحدهما على الآخر . (ص ٣٤) .

• دقته في الموازنة الأدبية بين أبيات لأبي تمام ، وأبيات لابن عبد ربه (ص ٢٢٣ وما بعدها) ، ثم في الموازنة بين ابن الرومي وابن أبي عيدة الأندلسي (ص ٢٢٧ وما بعدها) .

• توفيقه ودقته في الترجمة لأشهر اعلام الشعر أو النثر في الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، وهنا وقفات قصيرة لا بد منها :

أولا : ذكر الأستاذ الدكتور (هامش ص ٢٨٨) ما ذكر من الطبعات القديمة أو الحديثة للعقد الفريد ، ولكنه لم يذكر الطبعة التي حققها الأستاذ محمد سعيد العريان .

ثانيا : ما قول الأستاذ الدكتور هيكل فيما جاء بمقدمة المرحوم محمد سعيد العريان التي عرف فيها بكتاب « العقد » ومؤلفه : « يقول الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة ، في بحث نشره للتعريف بصاحب العقد (مجلة الثقافة - العدد ٩٤ - ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠) : أن أمالي ابي علي القالي ، كانت هي النواة الأولى التي بذرها أبو علي في بلاد الأندلس من علوم المشرق ، وعليها تخرج مشهورو الأدباء في الأندلس ، ومنهم ابن عبد ربه .

وظاهر كلام الأستاذ العميد صريح في أن ابن عبدربه كان لاحقا لأبي علي القالي وأنه من تلاميذه ، وأن كتاب « الأمالي » أسبق من «العقد الفريد»، وأنه أول ما نقل الى المغاربة من علم المشرق . وأرى هذا كله خطأ لا يستند الى دليل من التاريخ ، فقد كان مقدم أبي علي القالي الى الأندلس بعد وفاة ابن عبد ربه بسنتين وأشهر (توفي ابن عبد ربه بقرطبة سنة ٣٢٨هـ ، وكان مقدم أبي علي القالي في امارة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٠هـ) وكان تأليف كتابه الأمالي بعد مقدمه بسنين ، اذ كان هذا الكتاب هو مجموع محاضراته في جامع قرطبة ، فاذا أضفنا الى ذلك أن ابن عبد ربه قد فرغ من تأليف كتابه « العقد » في سنة ٣٢٢ هـ- على ما نرجحه - وقدرنا المدة التي أملى فيها أبو علي محاضراته في جامع الزهراء قبل أن يجمعها في كتاب ببضع سنين ، كان لنا من ذلك برهان لا يدفع بأن العقد الفريد كان أسبق من الأمالي ببضع عشرة سنة ، فلا وجه هنالك للقول بأن ابن عبد ربه كان من تلاميذ أبي علي ، وبأن كتابه على منهاجه . وأما قوله : «ان كتاب الأمالي ، كان النواة الأولى من علم المشارقة في الأندلس»، فينقضه ما كان معروفا قبل ذلك في الأندلس من كتب القوم ، حتى روى ابن كثير في تاريخه : « ان أهل المغرب كانوا يتهمون من لم يكن في بيته من مؤلفات ابن قتيبة شيء » (توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦هـ وكان مولد أبي علي سنة ٢٨٨هـ) . وكان للمغاربة بتحصيل علم المشرق والتبكير اليه ما دعا المستنصر الى أن يرسل وراءه النسخة الأولى من كتاب الأغاني لأبي الفرج ، فيشتريها بألف دينار . أضف الى ذلك أن رحلة المغاربة الى الشرق كانت متصلة لطلب العلم منذ أوائل القرن الثالث ، فلا يمكن مع هذا أن يكون علم « أبي علي » جديدا على أهل الأندلس في أواسط القرن الرابع ، وأن يكون نواة وقدوة ومنشئ مدرسة يتخرج عليها مثل ابن عبد ربه مؤلف « العقد » .

ثالثا : في رد الأستاذ الدكتور على المرحومين : أحمد أمين وأحمد ضيف انتهى به دفاعه عن ابن دراج القسطلي (ص ٣٧٠) الى أنه من شعراء الصف الأول بين الأندلسيين ، وذلك ما نلتقي فيه مع الدكتور ، ولكننا نرجو أن يعيد النظر في حكمه لابن دراج بأنه « من شعراء الصف الأول بين شعراء العربية الأقدمين »، وأحسب هذه مبالغة لا تنهض بها النماذج الشعرية التي أوردها في أثناء الترجمة له (ص ٣٣٥ وما بعدها) .

وأين من روائع مدائح البحتري بعد استاذه أبي تمام ، مدائح ابن دراج للمنصور بن أبي عامر مثلا ، ومعلوم أن المدح ، كما قال الدكتور أحمد هيكل نفسه (ص ٣٤٢ ، ٣٤٣) : « هو الموضوع الرئيسي الغالب على قصائد ديوان ابن دراج ، حتى لا يكاد يعثر فيه على أعمال شعرية مستقلة غير المدح سوى بعض الآثار القليلة التي توشك أن تضيع في زحمة المدح » .

وأين من غزل عمر بن أبي ربيعة أو جرير أو بشار بن برد كل ما قاله ابن دراج في الغزل ؟ ومنه قصيدتاه القصيرتان في الغزل (ص ٣٤٨ ، ٣٤٩) من ديوانه ؟

وأين من شوامخ أبي الطيب المتنبي في وصف حروب سيف الدولة ومعاركه قصائد ابن دراج جميعها في وصف المعارك الحربية ومشاهد الجيوش والعدد البرية والبحرية ؟

رابعا : ذكر الدكتور لابن عبد ربه كنيته التي عرف بها لدى المؤرخين وهي « أبو عمر »، واود أن أشير الى أن كنيته في « مطمح الأنفس » لابن خلكان « أبو عمرو » وكنيته في مقدمة ابن خلدون «أبو عبد الله»، لا سيما وأن الأستاذ الدكتور ذكر « مطمح الأنفس » فيما ذكر - بالهامش من المراجع التي رجع اليها هنا في ترجمة ابن عبد ربه . ويا حبذا لو أضاف اليها هنا أيضا : الوافي بالوفيات (ج ٢-قسم ٢-ص ٢٤٦) ويتيمة الدهر للثعالبي (١-٢٦٠ ، ٤١٢)، وبغية الوعاة للسيوطي (١٦١) والبداية والنهاية (١١ ، ١٩٣) والمقتبس لابن حيان رقم (٤٣ ، ٩٧)، كما لو أشار الى لقبه

بعد أن أشار الى كنيته وهو لقب « الفقيه » ، كما قال ابن خلكان وغيره ، مع التعليل لهذا اللقب .

خامسا : قال الأستاذ الدكتور في مطلع الترجمة لابن عبد ربه ما نصه : « هو أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه ، كان جده الرابع مولى لهشام ابن عبد الرحمن الداخل » ، وهنا نقول : أن ابن عبد ربه هو : أحمد ، ابن محمد بن عبد ربه – وهذا هو الجد الأول – بن حبيب – وهذا هو الجد الثاني – بن جدير – وهذا هو الجد الثالث – بن سالم القرطبي – وهذا هو الجد الرابع – والدكتور المؤلف جرى على أن مولى هشام هو الجد الرابع « سالم » – وذلك ما جرى عليه المؤرخون والباحثون القدامى – على حين أن الذهبي في كتابه « سير اعلام النبلاء » في الطبعة الثامنة عشر قد جرى على أن الجد الثالث « جدير » هو الذي كان مولى لهشام ، وذلك ما رجحه بعض المحققين المعاصرين ومنهم البحاثة الأستاذ السيد محمد خليفة التونسي – رد الله غربته وآنس وحشته – محتجين بقصر المدة بين مولد هشام ١٤٩هـ وولاية الحكم ١٧٢هـ ومولد ابن عبد ربه ٢٤٦هـ .

سادسا : وحدثنا الأستاذ الدكتور عن كتاب العقد وأبوابه الخمسة والعشرين كما حدثنا عن مصادره ، وكنت أود أن لو أضاف الى ذلك ، الاشارة الى شيوخه ومعاصريه ، الذين نقل عنهم ما نقل في « العقد » وأشهرهم أربعة :

- عثمان بن المثنى (١٧٩–٢٧٣هـ) الشاعر القرطبي الذي نقل ديوان أبي تمام وشعره الى الأندلس ، كما في بغية الوعاة (رقم ٣٢٤) والمغرب (١–١١٢) وغيرهما .
- ومحمد بن عبد السلام الخشني (٢١٨–٢٨٦هـ) .
- وبقي بن مخلد (٢٠١–٢٧٦) .
- ومحمد بن وضاح (١٩٩–٢٨٦هـ) .

سابعا : رأى الأستاذ الدكتور المؤلف أن كتاب « العقد الفريد » أكثر مواده تتصل بالمشرق ، وتاريخه وسير أعلامه ، وأخبار فنانيه ، والقليل جدا من مواد العقد هو ما يتصل بالأندلس ، وهذا ما حدا بالصاحب ابن عباد الى القول عن هذا الكتاب : «هذه بضاعتنا ردت الينا». وهذا الذي قاله الدكتور أدق من قول المرحوم محمد سعيد العريان ، محقق هذا الكتاب ، في تقديمه له أن ابن عبد ربه قصر كتابه على أخبار المشارقة ، ونرى أن الحق هنا في جانب الأستاذ الدكتور أحمد هيكل ، فابن عبد ربه لم يقصر كتابه على أخبار المشارقة ، وانما أتى في كتابه بأندلسيات قليلة ، حبذا لو أشار اليها الدكتور في الطبعة القادمة ولو بعبارة موجزة .

ومما يلفت النظر أن ابن عبد ربه ذكر من الوفود أكثر من خمسين وفدا في الجاهلية والاسلام . ولكنه لم يشر ، ولو اشارة عابرة ، الى وفد واحد من الوفود التي وفدت على أمراء الأندلس ولا سيما « الناصر »

كما أنه لم يورد في « العقد » من آثار أدباء الأندلس وشعرائها عشر معشار ما أورده من شعره وكلامه هو .

ثامنا : أشار الأستاذ الدكتور المؤلف (ص ٢٨٧) الى أن كتاب « العقد » لم يكن يوصف بالفريد ، فهذا وصف أضافه اليه بعض المؤرخين ، ولا سيما « الابشيهي » في كتابه « المستطرف في كل فن مستظرف » . وأقول ينبغي هنا أن نشير الى أن المستشرق الألماني « بروكلمان » هو أول من تنبه لذلك .. كما كان أيضا أول من تنبه الى أن رسالة « التوابع والزوابع » لابن شهيد ، ظهرت قبل « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري بنحو عشرين عاما .. وذلك ما حققه الدكتور المؤلف (ص ٤٢٦) .

تاسعا : نحن نتفق مع الأستاذ الدكتور المؤلف في قوله : أن ما عرف لابن عبد ربه من الأشعار يدل على شاعرية ، ولكننا نخالفه في وصفه هذه الشاعرية بأنها « شاعرية ممتازة » على الرغم من القصة التي نسبها ياقوت في معجمه الى المتنبي ليستخرج منها شهادة من المتنبي لابن عبد ربه . فما هذه الشهادة من أبي الطيب – كما قال صديقنا المحقق المعاصر محمد خليفة التونسي – الا « تظرف بدوي مع مدني ظريف ، وليست حكما أدبيا قائما على أصل نقدي ثابت مدعوما بدليله من الفن والفكر ». هذا ولم يحدثنا الدكتور المؤلف عن ابن عبد ربه كناقد ، كما حدثنا عنه كشاعر وناثر ومؤلف .

عاشرا : أود أن لو تمكن الأستاذ الدكتور المؤلف من الاشارة الى الأمور الثلاثة الآتية عن كتاب « العقد » أو « العقد الفريد » في الطبعات القادمة ان شاء الله :

- الاشارة الى أن في هذا الكتاب نصوصا ومواد لم تكن في أصله الذي تركه عليه صاحبه المتوفى عام ٣٢٨هـ. فمن أين له أن يترجم للخلفاء الذين أتوا بعده مثل الراضي والمتقي والمستكفي والمطيع ومن اليهم ممن نراهم في الجزء الخامس من العقد الفريد تحقيق الأستاذ المرحوم محمد سعيد العريان
- الاشارة الى ميزة يتميز بها هذا الكتاب عن أصول الأدب العربي وأعني بها ميزة الدراسة الموضوعية المستأنية لمسائل العروض والقوافي التي استقصاها استقصاء لا نعرف له مثيلا في غير الكتب الخاصة بعلم العروض والقوافي ، مما يجعل هذا الكتاب مرجعا لا يستهان به من مراجع هذا العلم فنا وتطبيقا .
- التذكرة بالكتب التي ألفها القدامى أو المحدثون كمختصرات للعقد الفريد ولست أذكر منها الا المختصرات الثلاثة الآتية :

– مختصر أبي اسحاق القيس الوادي آشي (٥٧٠هـ) وترون ترجمته له في بغية الوعاة للسيوطي (رقم ١٨٢)

– مختصر ابن منظور المصري (٥٧١هـ)

– مختصر الشيخ محمد الخضري بك وزملائه « مختار العقد . »

أما بعد ، فان هذا الكتاب – فيما قرأت حتى اليوم – لأوفى كتاب في موضوعه ، وأن مؤلفه الجليل لأهل لجائزة الدولة المخصصة للدراسات الأدبية التي نهنئها به ، قبل أن نهنئه بها ، داعين له بالمزيد من التوفيق والسداد ، حتى يتم رسالته باقامة المكتبة الأندلسية كاملة غير منقوصة ، ان شاء الله ، راجين أن يتدارك في الطبعات القادمة لهذا الكتاب ما يروقه مما سبقت الاشارة اليه في غضون هذا البحث ومما نضيفه اليه فيما يأتي :

– بيان أصل كلمة « الصقالبة » (ص ٣٨) واصل كلمة « ايبريا » (ص ١٩ ، ٢٨) واصل كلمة « قومس » (ص ٤٧)

– وبيان مصير طارق بن زياد وقبره (ص ٣٤) ومصير موسى بن نصير .

– وبيان ما عسى أن يكون هناك من صلة بين يوسف الفهري وعزيرة ابن عبد الله الفهري المشار اليهما (هامش ص ٦٨) والضحاك الفهري قائد جيش ابن الزبير في معركة « مرج راهط » (ص ٧٤)

— وذكر الاسم كاملا للصحابي الذي اكتفى بذكر لقبه « المنيذر » (هامش ص ٦٩) .

— وابراز مكان « سبته » الثغر الافريقي في الخريطة المرسومة (ص ٢٣) لأهمية هذا الثغر المشار اليه في أكثر من موضع بهذا الكتاب الجامع الرائع (ولا سيما ص ٣١ ، ٣٤١) .

— واستبدال كلمة « معراج » مثلا بكلمة « ظهر براق » في قوله (ص ٤٢٤) « صعود محمد عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء الى السموات على ظهر براق » .

— واستبدال عبارة « سبلة الرجل : الدائرة التي في وسط شفته العليا ، وطرف الشارب من الشعر ومقدم اللحية » بعبارته التي ذكرها (هامش ص ٤٣٣) ونصها : « السبلة ما على الشارب من الشعر »

— وتفسير بعض الكلمات والعبارات من طراز ما يأتي :

يمشي البراز (ص ٤٠٨) ، الصنبر (ص ٤١٧) ، أوعث بي (ص ٤٣٤) ، وما عدا مما بدا (ص ٤٤٦) .

— وذكر أرقام الصفحات التي نريد احالة القارئ اليها كما في (ص ١١٤) : « وبعض أبيات أخرى من القصيدة في غير هذا المكان » أنظر (ص ٩٤ ، ٩٥) ، وكما في (ص ٢١٣) : «من قول الزبيدي» أنظر (ص ٢١٩، ٢٢١).

ومن الكلمات والاساليب التي نراها دون الكمال ، ولكل رأيه : كلمة « رغم » منصوبة لا مجرورة بحرف الجر وترونها مكررة في ٢٤ صفحة مختلفة .

وكلمة البحر الأبيض ، .. والأولى : البحر المتوسط ، وذلك هو التعبير المستعمل في أحدث الأطالس . أما البحر الأبيض فشمال غرب الاتحاد السوفيتي .

(ص ٣٢) . الاجابة عليه ، والاولى : الاجابة عنه .

(ص ٣٣ ، ٩٨ وغيرهما) : الرئيسية والأولى الرئيسة ، كما في القاموس .

وكما قال أستاذنا عباس حسن عضو المجمع اللغوي ص ١١٧ — السالفة الذكر ، والأولى : سالفة الذكر .

(ص ١٨٦ ، ٣٢١ ، ٤٢٠ ، ٤٢١) : أثناء ذلك ، والأولى : في أثناء ذلك .

(ص ١٩٢) : للتلمذة عليه ، والأولى : للتلمذة له .

(ص ٢١٠) : العرب عامة وقريش خاصة ، والأولى : بعامة وبخاصة

(ص ٢١٧) : كان يحياها الأندلسون والأولى : كان الأندلسيون يحيونها .

(ص ٣٢٤) : الصحيحة النسبة ، والأولى : صحيحة النسبة

(ص ٣٣٧ ، ٣٤٤) : أمجاده ، والأولى : مجوده

(ص ٣٨٧) : رضخوا لهم ، والأولى : خضعوا لهم

(ص ٤٣٥) : مهما استوفى ، والأولى : مهما يستوف

— اعادة النظر في الأخطاء المطبعية أو الظاهرة، فمن الأخطاء ما يلي :

الخطأ	الصواب
ص ١٣ من ظرف	من ظروف
ص ٤٣ ألعر	العربي
ص ٤٤ نظ	نظرا
ص ٧٦ ولو ضئيل	ولو ضئيلا
ص ٨٧ أقتل	قتـــل
ص ٩٨ و ١٨٦ ألفروسة	الفروسية
ص ١٠٦ وأختفى	واختفى
ص ١١٣ هوت	هويت
ص ١٢٦ تاريخة	تاريخه
ص ١٣٤ ألثائرين حكومة	الثائرين على حكومة
ص ٢٠٣ ألغزية	تغذيه
ص ١٦٣ بن المعتز	ابن المعتز
ص ١٦٤ بن زهر	ابن زهر
ص ١٧١ ألمفرغين	المتفرغين
ص ١٧٢ ألغرال	الغزال
ص ١٨٠ آل عمر	أن عمر
ص ١٨٧ ولعة	ولوعة
ص ١٩٤ ربدابك	؟
ص ٢٠٤ حماتها	حماماتها
ص ٢١٦ جعلة	جعله
ص ٢١٧ بـــة	بـــه
ص ٢١٨ ألرزائل	الرذائل
ص ٢٢٦ تطيعة	تطيعه
ص ٢٢٩ قـــد	القـــد
ص ٢٣٣ فرق	فوق
ص ٢٣٩ أراء	آراء
ص ٢٥١ وجهة	وجهه
ص ٢٥٤ تحرا	تحررا
ص ٢٦٢ نقطة	نطقه
ص ٢٦٧ يدعوني في	يدعوني
ص ٢٨٣ ألفرع	الفرع
ص ٢٩٧ آثار	آثاره
ص ٣٤٨ و ٣٦٠ ابن داراج	ابن دراج
ص ٣٦٥ درّا	دراج
ص ٣٦٥ شعرة	شعره
ص ٤٠٣ قطبه	قرطبه
ص ٤٣٢ ألصوت	السوط
ص ٤٣٣ كتصاغين	متصاغرين
ص ٤٤١ عب	عبء

والى لقاء قريب ان شاء الله في ظلال المكتبة الأندلسية المرتجاة ، على يدي رجلها وأديبها الأستاذ الدكتور أحمد هيكل الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ■

الغزالي حرب — القاهرة



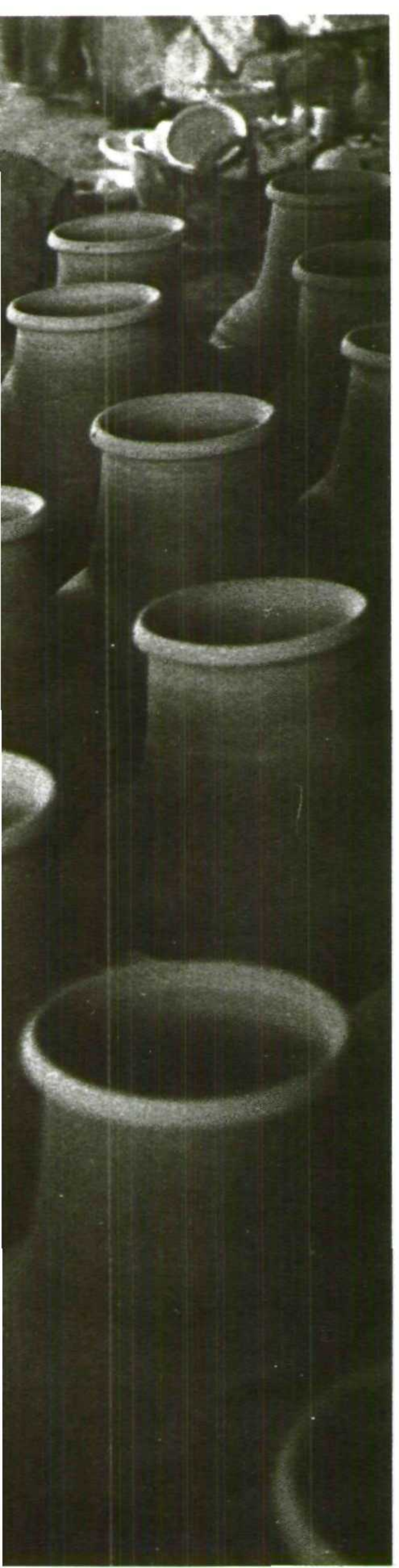
للشاعر حسن كامل الصيرفي

إرْجَعْ يا حلْمُ الى عَيْنيّ ، فَفِي الأجْفَانِ طُيوفُ رُؤاكْ
ما زِلْنْ يَجلُنْ على الأهدابِ عرائسَ شِعْرٍ من دُنْيَاكْ
يَرْقُبْنَ خَيالا خَلْفَ السّورِ ، تُطِلّ عليه من الشّبّاكْ
نَظَراتُ الشّاعِرِ في الظّلْماءِ تُسائلها أيّانَ تَراكْ
إرْجَعْ يا حُلْمُ الى عَيْنَيّ ، ففي الأجفانِ قَرارُ سُراكْ
يا حُلْمَ اليَقْظَةِ حيثُ أراك ، وحيثُ أحِسّ بِوَقْعِ خُطَاكْ

* * * *

إرْجَعْ يا حُلْمُ ! فإنّ الصّيفَ – سئِمْتُ الصّيْفَ – أطال نَوَاكْ
البحرُ هُناك ، وموجْ البحرِ ، وسِحْرُ الشّاطِىء قدْ أغْراكْ
فَنَسيتَ الشّعرَ ، وسِحْرَ الشّعرِ ، وخَلْفَ الشّعرِ مَن استَوْحاكْ؟
روحٌ وخَيَالٌ في السّبْحاتِ وراءَك قد جازَا الأفْلاكْ
والأفْقُ الغارقُ في الدّأماء يُخَبّىءُ سِرّ الغَيْبِ هُنَاكْ
وخَيَالُكَ يَسْبَحُ نَحْو مَداهُ ، وسبْحُ خَيَالِيَ نَحْو مَداكْ
أنْسَاكَ الشاعِرَ في نَجْواهُ ، وعن ذِكْراهُ هُنا ألْهاكْ
فارْجَعْ يا حُلْمُ ! كَفاكَ غِيابُ الوَجْدِ عليهِ ، كفَاكَ ! كَفَاكْ !

حسن كامل الصيرفي – القاهرة





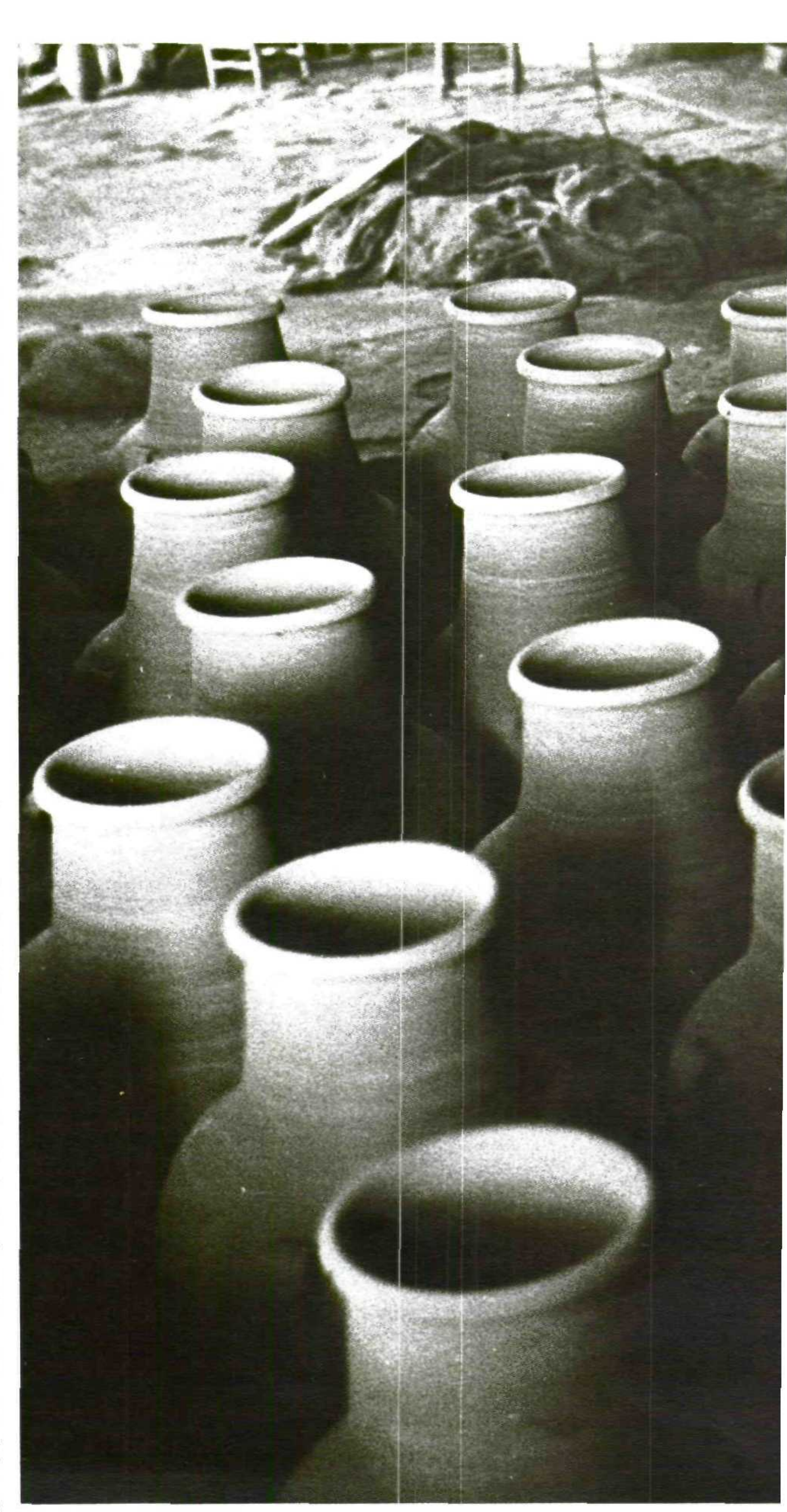
آنية خزفية يرجع عهدها الى زمن المماليك في مصر ، وهي من انتاج أزرق . .

تاريخ الأواني الخزفية والفخارية وتطورها

احتاج الانسان منذ فجر التاريخ الى الأواني والقدور ليخزن فيها طعامه وشرابه، ووجد أن مادة الطين تتوفر لديه ويسهل الحصول عليها من أودية الأنهار وعلى ضفافها ، فصنع منها الفخار الذي ما زال أصلح المواد لصنع الخزف منذ فجر التاريخ .

والطين الصيني أو الصلصال أصلح مادة لانتاج الخزف، ويستخرج النوع الجيد منه من سليكات الألومينيوم اذا وجدت نقية خالية من الشوائب . وبتحليل النوع الجيد من هذا الطين نجد أنه يحتوي على نحو سبع وأربعين في المائة من مادة السليكا ، وأربعين في المائة من الألومينيوم والباقي من الماء ، وبحرق هذا الطين الجيد نحصل على فخار ذي لون أبيض أو أصفر نوعا ما .

ولشدة اتصال الفخار بحياة الانسان عُني علماء الآثار وتاريخ الفنون بدراستها لأنها تعكس بعض صور التطور الذي يسير مع تقدم الانسان في مدارج الرقي والحضارة ، فكانت الفخاريات في نظرهم ميدانا رحبا ومجالا خصبا لدراسة طبائع الأمم والشعوب التي خلفتها ، سواء أكانت سليمة مكتملة أم حطاما متراكما أم كسرا متناثرة هنا وهناك ، وهي وسيلة سهلة لمعرفة مدى علاقة أمة بأخرى وحضارة بحضارة والى أي حد وصلت الروابط التجارية والثقافية بين بلد وآخر . وتزداد أهمية الآثار الفخارية كلما توغلنا في القدم وانعدمت الكتابة في الآثار ، اذ بعد ظهور الكتابة والمخطوطات وخاصة بعد فجر الاسلام، صار الباحث يتجه بتفكيره وذهنه الى قراءة ما نقش من أحرف أو ترك من مخطوطات من أجل الحصول على ما يريده من معلومات ، بيد أن الكتابة لم تنتقص كثيرا من أهمية حطام الفخاريات كدليل مادي على الأذواق الفنية والروابط الثقافية لمرحلة ما من مراحل التاريخ . فعلى سبيل المثال عرفت سورية الخزف الصيني الأزرق والأبيض لأول مرة في القرن الرابع عشر للميلاد ، وأعجب به الصناع السوريون أيما اعجاب ، لدرجة أنهم قلدوا الأصل الصيني وزينوه برسوم ونماذج تشبه الرسوم الأصلية ، ولقد عثر على ما يثبت ذلك في آثار مدينة حماة القديمة وفي مواطن أخرى من سوريا . وبما أن تلك الآثار وجدت في طبقة تقع تحت الطبقة الأثرية التي تحوي آثار الدمار الذي خلفه « تيمورلنك » المغولي حين اجتاح جيشه الغازي تلك المدينة عام ١٤٠١ للميلاد ، لذا فان في هذا دليلا واضحا على أن السوريين



مجموعة من الجرار الفخارية المصنوعة باليد .

بدأوا يصنعون الصيني قبل «عهد تيمورلنك» . ومن الشواهد الأكيدة على ذلك أن ضريح « التوريزي » بدمشق ، وهو من آثار مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، كان قد زين بالقاشاني السوري الذي يحمل رسوما وزخارف أقرب الى النمط الصيني ، وجامع « مراد الثاني » الذي بناه الأتراك العثمانيون في مدينة « أدريان » على الحدود بين اليونان وتركيا عام ١٤٣٣ للميلاد ، به من القاشاني ما يشبه الى حد كبير ذاك الذي في ضريح « التوريزي » بدمشق ، ان لم يكن من صنع يد واحدة هي يد الصانع السوري . وفي « بورسة » ، عاصمة العثمانيين الأولى قبل فتح القسطنطينية ، بنى الأتراك قصورا امتازت بالفخامة والروعة . أما الزخارف والزينات والنقوش فكانت من نتاج الصناع الفرس الذين أتى بهم الأتراك من « تبريز » . كما أن بعض القاشاني الذي زينت به جدران قبة الصخرة المشرفة في القدس عندما جدد السلطان سليمان الفاتح بناءها في عام ١٥٤٥م يدل على أن صناعا من تبريز قد شاركوا في عملية استبدال الفسيفساء الأموية بالقاشاني ، اذ نقش على احدى قطع القاشاني ما يلي: « عبدالله التبريزي عام ١٥٥٢ » . وكان السلطان سليمان قد زار تبريز أثناء قيامه باحدى الحملات الحربية في بلاد فارس . وأعجب الأتراك العثمانيون بالصيني و « البورسلين » أيما اعجاب وانهالت عليهم الهدايا النادرة التي تعرض اليوم في متاحف الآثار ، ومنها هدايا من أباطرة الصين .. وزهرة اللوتس التي تزين خزفيات تركيا اليوم هي بدون أدنى شك أحد تأثيرات الصناعة الصينية .

وصناعة الخزف في ايران هي الأخرى لم تسلم من التأثيرات الصينية التي تظهر بوضوح في صناعة القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، بيد أن الصناعة الايرانية بلغت شأواً بعيدا في الرقي حتى أن مدينة أصفهان ، التي كانت في يوم مضى من أجمل عواصم الدنيا ، غلفت واجهات مساجدها ، التي يعود بعضها الى عهود قديمة ، بجدران من القاشاني الجميل ، كما حليت به أسطح القباب والمآذن الشامخة .

وكان الصانع في الأزمان القديمة يشكل الفخار بواسطة اليد أو بعجلة يديرها بيده أو برجله . كما كان يصنع قوالب ذات شكل خاص لانتاج الأنواع التي يريدها ، ويشترط أن يكون الطين لينا كالمطاط حتى يسهل تشكيله وتحويره ، فتراه أحيانا منتفخ الوسط أو بيضاوي الشكل أو ينساب في تدرج بديع ، ثم يقوم

الصانع بوضع الوعاء أو القدر الذي صنعه في الشمس حتى يجف . وبعدها يدخله في الفرن لحرقه ليزداد صلابة وقوة . وأصلب أنواع الفخار ما أضيف الى صلصاله مسحوق العظام ، كما أن الحرارة الشديدة تزيد من صلابته وجودته ومقاومته للكسر . والفخار القديم الذي صنع في فجر التاريخ كان يشوى في أفران ذات حرارة تصل الى نحو ٧٥٠ درجة مئوية ، واذا ارتفعت الحرارة الى ١٢٠٠ درجة مئوية يحصل الانسان على نوع أكثر جودة وصلابة ، بينما يحتاج صنع الخزف الى حرارة عالية تصل الى نحو ١٤٠٠ درجة مئوية .

وقد عرف الفخار في بلاد الصين والهند والعراق ومصر وفينيقيا ، وتعتبر بلاد الصين من أقدم دول العالم انتاجا للخزف لجودة الطين الصالح وتوفره فيها .

واستخدام الانسان العجلة في تشكيل الخزف عرف في عدة دول من العالم القديم. بيد أنها مرت بمراحل تطور رئيسية ثلاث، اتخذ الفخاري في أولها مسندا خشبيا قرصي الشكل على الغالب ليضع عليه كتلة الطين المراد عمل الاناء منها، وهذا المسند كان يوضع على الأرض والصانع يحركه بحرية الى جميع الجهات وهو جالس في مكانه، والقرص يدور ومن فوقه الاناء يتشكل كما يشاء الفخاري . وفي المرحلة الثانية ثبت القرص الخشبي على محور « Pivot » فسهل تدويره كما يدور المغزل ، واحتاج الصانع في هذه المرحلة الى مساعد يحرك القرص ويتفرغ هو للعمل في الاناء ، وكان ذلك عهد الدولاب البطيء أو « Tournette » ، وفي المرحلة الثالثة اكتمل تطور الدولاب فصار العامل يحركه بقدمه وتفرغ للاناء يساعد في تشكيله بكلتا يديه وسمي ذلك بالدولاب السريع « Fast Wheel » أو الدولاب الطيار « Fly Wheel » .

وصناعة الخزف والفخار تمر بمراحل خمس أولها : تجهيز المواد الأولية من صلصال ومواد تلميع وتزجيج ، ثم تشكيل الاناء ، فتجفيفه أو حرقه بالنار ، ثم تزيينه وزخرفته ، وأخيرا طلاؤه لجعله يحفظ السوائل بعد أن أن تسد مساماته اما من الداخل أو من الخارج . وربما تمت عملية الطلاء أو التزجيج قبل حرق الاناء في النار أو بعده ، والغاية من ذلك هي اضفاء مسحة بلورية على سطح الاناء تعطيه جمالا وزيادة في المتانة واتساعا في مجالات الاستعمال .

ويتوفر الطين الصالح لعمل الخزف في الوقت الحالي في عدة أقطار مثل الصين وانجلترا وألمانيا والنمسا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها . وينتج الطين الجيد من فتات نوع من حجر الصوان المتبلور الذي تكون في العصور الجيولوجية القديمة بسبب البراكين الثائرة ، أو نتيجة لحدوث تفاعلات كيميائية في الصخر .

ومن المصادفات العجيبة التي قابلت صانعي الخزف في بلاد الصين وأثارت دهشتهم ومخاوفهم ظهور بقعة حمراء في بعض الأواني تغاير لونها العام . وقد لمست هذه الظاهرة أول مرة بعد وضع أحد الأباريق في الفرن ، اذ تأكسد جزء منه بسبب احتراق فقاعة من الهواء ، وذعر الصانع حينذاك وارتبك ، واعتقد أنها من آثار دماء غريبة ، فقام بكسر الاناء وهدم الفرن . ولكن هذا الأمر حدث مرات عديدة بعد ذلك مما أثار تساؤلات الصناع ، بيد أنهم لم يهجروا هذه الصناعة ، كما أنهم لم يدركوا السبب الحقيقي لهذه الظاهرة الكيميائية .

واذا حرق الاناء في فرن ذي درجة حرارة متوسطة بدا لونه أحمر كالطوب ، واذا استمرت الحرارة في الارتفاع أصبح لونه أحمر داكنا . وبزياده الحرارة وشدتها يحصل الانسان على خزف يميل لونه نحو السواد ، واذا أمكن التحكم في الفرن أثناء عملية حرق الاناء أمكن انتاج أنواع ذات لون رمادي .

وتعود زخرفة الأواني الى العصر الحجري القديم ، فقد عرف أن الانسان في تلك الحقبة من التاريخ كان يزين الأواني بواسطة عصا مدببة أو قطعة عظام مسننة حادة وذلك بأن يحفر على الطين قبل جفافه رسوما يقتبسها من الطبيعة ويسجل عليها أعماله ، فتجد بعضها ذات أوراق نباتية محورة أو أشكال هندسية أو خطوط وأشرطة ..

وقد صنع المصريون القدماء الأواني الفخارية بطريقة التحكم في الأفران . وكان معظم الأواني والقدور التي وجدت في مدافنهم ذات لون أحمر . أما حافة الاناء أو المقبض فكان لونه أسود لأن معظم القدر كان يدفن في رماد الفرن بينما يبقى المقبض معرضا لأوكسجين الهواء .

وأفضل طريقة لتثبيت الألوان على الأواني يكون باستخدام الأكاسيد المعدنية التي لا تتأثر بالحرارة بل تتفاعل مع الاكسجين أثناء عملية حرق الاناء في الفرن . وكلما زيدت نسبة الكربون يكون اللون رماديا . أما اللون الأحمر فيمكن الحصول عليه من أكاسيد الحديد ، والألوان الخضراء أو الرمادية من أكاسيد النحاس أو بانقاص درجة حرارة الأفران نفسها .

وطريقة انتاج الخزف المعروفة بنحت الدهانهي أن يدهن الاناء بالمادةالزجاجية ويعرض لدرجة حرارة عالية حتى تترسب المادة على سطحه ثم يقوم الفنان برسم الزخارف على الاناء باستخدام ألوان ممزوجة بمسحوق زجاجي وبعدها يوضع القدر في الفرن مرة أخرى بشرط انقاص الحرارة وجعلها كافية فقط لصهر اللون فوق أرضية الاناء .

وترجع أقدم الأواني الخزفية الى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وقد عثر عليها في قرية « حصارلك » قرب مضيق الدردنيل ، كما وجدت مجموعة أخرى في « كورنشا » ببلاد اليونان ، وكانت زخارفها مستنبطة من النباتات المائية والحيوانات البحرية كالأخطبوط ، بينما تميزت الأواني التي تنسب الى القرن العاشر قبل الميلاد بالزخارف الهندسية والدوائر المتقاطعة أو المتداخلة بعضها ببعض ، أما زخارف الأواني التي تنسب الى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، فقد اقتبست عن بلاد العراق ورسمت بلون أحمر على أرضية داكنة . وتمثل رسوم الأواني التي صنعت في القرن الخامس قبل الميلاد الأساطير والخرافات اليونانية .

وقد تعددت رسوم الأشخاص ، وتنوعت الموضوعات ، وكان الفنان يدهن الاناء باللون الأسود ويترك فراغا لرسم الأشخاص فتظهر الرسوم حمراء على أرضية داكنة ، ثم يقوم برسم تقاطيع الوجه والجسم والملابس بخطوط بيضاء .

وجاء الاسلام فشجع امراؤه رجال الصناعة ووفروا لهم المواد الخام وأغدقوا عليهم الهبات والعطايا فازدهر الفن وأينع ، وعني الفنان بالأواني الخزفية ونهض بصناعتها وابتدع أنواعا جديدة لها بريق معدني تتفوق على الأواني الذهبية ، وذلك باضافة أكسيد معدني على عجينة الخزف بعد وضعه في الفرن للمرة الأولى عند حرقه حيث تترسب المادة المعدنية القصديرية الشفافة أثناء عملية حرق الأواني للمرة الثانية حرقا بطيئا على درجة حرارة تتراوح بين خمسمائة وثمانمائة فهرنهيت ، وأثناء هذه الحرارة والحرق البطيء تتحول الأكاسيد المعدنية باتحادها مع الدخان الى طبقة معدنية رقيقة تعطي بريقا وجاذبية .

وتوصل المسلمون أيضا الى صنع خزف من طفال أصفر مغطى بطبقة شفافة من المينا

القصديرية ترسم عليه الزخارف بالأكاسيد المعدنية بعد حرقها مرتين على درجة حرارة تتراوح بين ٥٠٠ الى ٦٠٠ فرنهايت ، وعند ذلك تتحول الأكاسيد باتحادها مع الدخان الى طبقة معدنية دقيقة بديعة .

وأجمل أنواع الخزف ما ينسب الى مدينة سامراء بالعراق ، فهو يمتاز بزخارفه البارزة المكونة من أشرطة وفروع نباتية ورسوم هندسية ، وبجمال شكله وبهجة ألوانه وتنوع رسومه وزخارفه التي تملأ الاناء كله ، ويزين الفراغ برسوم تشبه الفسيفساء الذهبية .

وازدهرت صناعة الخزف في مصر أيام الفاطميين حتى أعجب بها الرحالة « ناصري خسرو »، وقال عنها : « انه يصنع في مصر خزف شفاف من كل نوع بحيث اذا وضعت يدك عليه من الخارج ظهرت من الداخل ، وتصنع منه الكؤوس .والأقداح والأطباق ويلون بألوان مختلفة » ، كما ظهر الخزف ذو البريق المعدني الذي وضع أساسه الخزّاف « مسلم » صاحب الطريقة الخزفيــة المشهورة في مصر ، ويعتمد أسلوبه على البساطة وحرية الحركة والرسوم القريبة من الطبيعة ، وتحكي رسومه الحياة الاجتماعية وما فيها من طرب وصيد ورسم الأشخاص . وأشهر الرسوم الحيوانية التي أغرم بها رسوم الأرانب والغزال ، وقد رسمت أثناء العدْو ممسكة فروعا نباتية ، كما كان يوقع على الأواني ويكتب عبارة « بركة كاملة ونعمة شاملة » .

ويمتاز الخزف السلجوقي الذي رسمت زخارفه باللون الأسود تحت طلاء شفاف لا لون له أو لون مائل الى الزرقة ، برقته وصلابته واتقان صنعه ، وكما أن منه ما له بريق معدني ، وقد استخدم الصناع القوالب في عمل الحليات البارزة التي زينت بها الجرار والأباريق بدلا من الزخرفة بالأختام ، وعناصره الزخرفية رسوم فروع النبات والكتابات العربية والأشكال الهندسية .

وابتكرت في العصر المغولي الفسيفساء الخزفية المكونة من عدد من الوحدات الصغيرة المختلفة الحجم والشكل قطعت من لوحات كبيرة من الخزف المدهون بالألوان ، ثم جمعت القطع التي تكون منها الشكل ولصقت بالملاط ، وهذا تقليد للطوب المطلي الذي ساد بلاد العراق أيام بابل القديمة .

ومن القطع المشهورة سلطانية في متحف جامعة فلادلفيا بالولايات المتحدة عليها رسم رجل ذو لحية،وتحفة أخرى تعتمد على الكتابة

صناعة الفخاريات من الحرف اليدوية المعروفة في العالم العربي .

الكوفية والنسخية وقد اهتم الرسام بتصوير الحياة الاجتماعية على الأواني .

وهناك الخزف المملوكي الذي يعود الى ما بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر وهو مصنوع من طفل مدهون بطبقة بيضاء قصديرية شفافة تميل الى الاصفرار وزخارفه منقوشة في طبقة من الدهان وتتألف الرسوم من أشكال نباتية وحيوانيـة وشارات للحكام ، ومنه ما يمتاز بألوانه الرائعة التي يغلب عليها الأزرق فوق سطح أبيض .

ويمتاز خزف الفسطاط باللون البرتقالي ، أما الخزف السوري الذي يعود الى نفس الفترة فلون أرضيته أزرق فيروزي . ويصعب تمييز قطعة صنعت في مصر عن مثيلاتها التي صنعت في سوريا ، فالجودة والدقة في الرسم واحدة ولهذا يعتبر كتابة اسم الصانع دليلا قاطعا على نسبتها للفسطاط أو دمشق .

وفي المغرب كانت الأندلس أشهر الأماكن لانتاج الخزف ذي البريق المعدني ، وتشبه زخارف وأنواع الخزف الأندلسي خزف سامراء ، حيث عثر في مدينة الزهراء، احدى ضواحي قرطبة ، على قطع وبقايا من هذا النوع تشتمل زخارفه على رسوم طيور وكتابات وزهور مرسومة باللون الأخضر والأزرق والبني الداكن .

كما أنتج خزافوا الأندلس أنواعا جيدة غير الأواني هي الأباريق والأزيار والقدور التي زينوها بالزخارف المختومة والمصنوعة بالقوالب . واشتهرت مدن مالقة وغرناطة بانتاج أنواع ممتازة ذات رسوم بديعة وألوان ذهبية أو زرقاء . ويغلب على الاعتقاد أن قدور الحمراء بغرناطة ، وهي من أبدع ما تم انتاجه ، كانت بين اللونين الذهبي والأزرق معا ، على حين تختص مالقة بانتاج الخزف ذي البريق المعدني من اللون الذهبي فقط . أما زخارف الخزف الأشبيلي فكانت تعمل بطريقة الصب بالقرطاس .

ثم انتقلت صناعة الخزف من الأندلس الاسلامية الى أوروبا ، وأقبل الصناع فيها على تقليدها في تصميمها وزخارفها وكتاباتها وألوانها ، ولا زالت تزين المتاحف والقصور وتبهر من يشاهدها لجمالها وتناسق ألوانها وبديع أسلوبها .

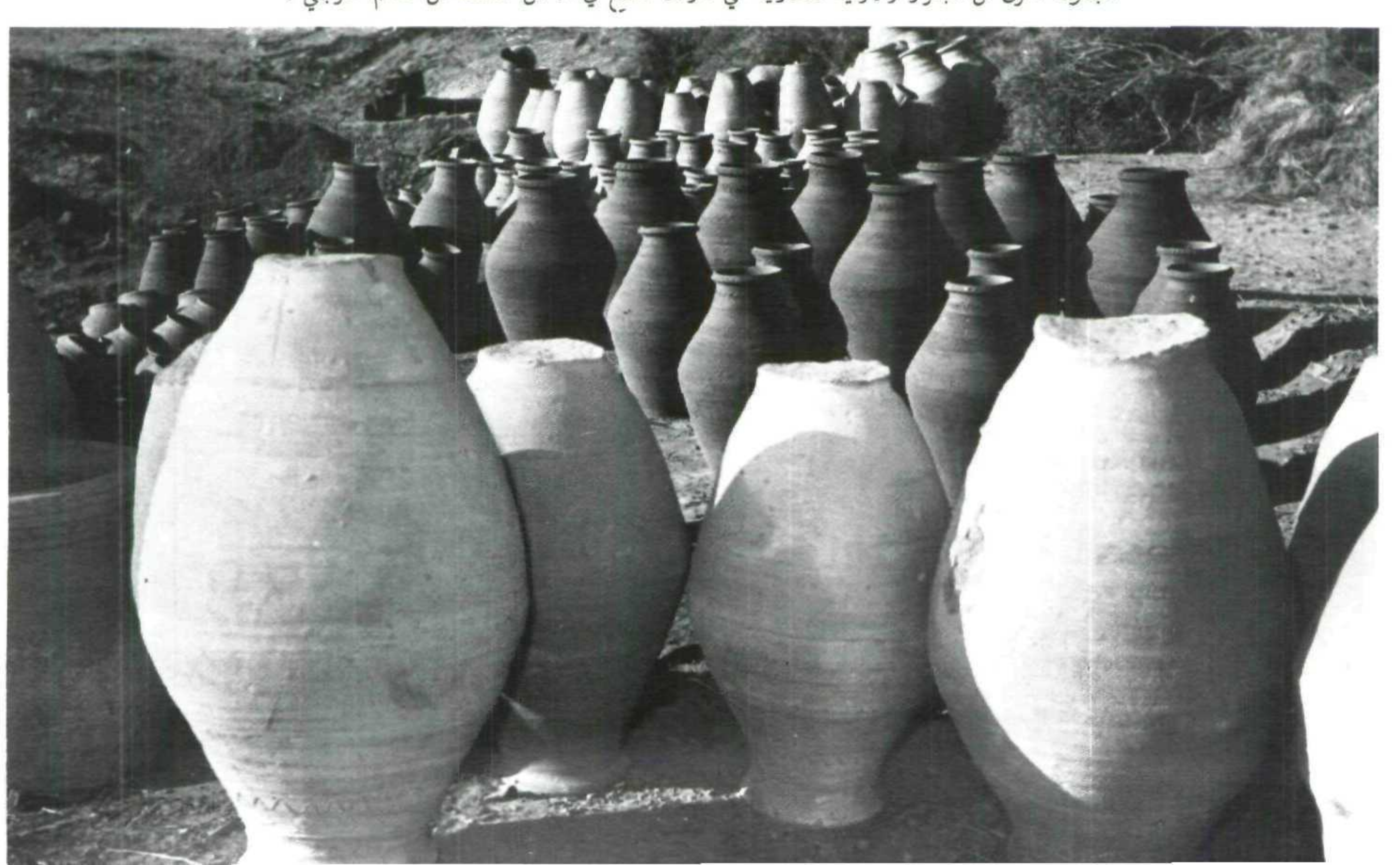
ولم تقتصر صناعة الخزف على انتاج الخزف ذي البريق المعدني ، اذ كانت هناك أنواع أخرى عرف أحدها بالخزف ذي الزخارف المحفورة أو البارزة . وطريقة زخرفة هذا النوع تعتمد على طريقة الصب بالقرطاس وهي دفع عجينة لينة من ثقب أو قرطاس فوق الاناء لتشكل زخارف نباتية ورسوما حيوانية وطيورا ، أما الخزف ذو الزخارف التي استعمل فيها طريقة الحفر فتعني وجود هذه الزخارف محفورة على قشرة بيضاء يغطيها طلاء شفاف رصاصي اللون ، ويكون الطلاء باللوان الأخضر أو البني أو الأصفر أو الأخضر ، ويطلق على هذا النوع من الخزف اسم « جيري »، ورسومه بقع أو نقط متناثرة أو متباعدة على الاناء ، كما توجد رسوم لطيور وحيوانات ونباتات وكتابات كوفية داخل مناطق متشابكة تضفي على الاناء جمالا ورونقا .

وهناك انواع من الخزف غير المدهون عملت زخارفه بوساطة أختام بعضها مستدير وبعضها غير مستدير ، وكان يصنع مثل هذا النوع عن طريق عمل قوالب فخارية لانتاج كميات ضخمة من الخزف ذي الزخارف البارزة ، ويصنع الاناء المستدير من جزءين منفصلين يتصلان فيما بعد . ويضاف الى الاناء العنق والمقبض والقاعدة بعد اتمام صنعه .

وتشتمل زخارف هذا النوع على رسوم حيوانية ونباتية . وقد أنتج الصانع بلاطات من الخزف رسمت فيه الزخارف على هيئة نجوم مثمنة باللون الأزرق غالبا ، لتزيين النافورات والحمامات بقصد الزينة ، الى جانب الرسوم من طير وحيوان وسط الأشكال النباتية على بلاطات ذات ألوان متعددة كالبني والأزرق والفيروزي . كما ظهرت أنواع من الخزف لتقليد الخزف الصيني الذي حاز شهرة عالمية ، وتمكن الصناع المسلمون من تقليد الرسوم والخطوط الصينية على الخزف .

لكن الخزف ذا البريق المعدني كان هو الخزف الفريد الـذي امتازت به الصناعة الاسلامية ■

مجموعة اخرى من الجرار والأوعية الفخارية التي مازالت تصنع في اماكن مختلفة من العالم العربي .



بقلم الاستاذ محمد رمضان علي

الاتصالات الداخلية بين الادارة والموظفين

حينما قررت احدى الشركات الأمريكية اقامة معمل ضخم لتكرير البترول في احدى مدن بريطانيا ، أيقن المدير المسؤول منذ اللحظة الأولى أنه يواجه « مشكلة » ذات أبعاد متعددة . فبعد أن فرغت الادارة من دراسة الجوانب الفنية والهندسية والمالية والسياسية للمشروع ، لم يبق أمامها غير التنفيذ . والتنفيذ يقتضي اجراء « اتصالات » على جميع المستويات ، وخاصة بالموظفين المحليين . وكان أول عمل قام به المدير في هذا الصدد أنه استشار خبراء الاتصالات الانسانية وعمل بمشورتهم فتكللت جهوده بالنجاح . فبماذا نصحه الخبراء وكيف تم التنفيذ ؟

الأيدي العاملة في هذا المشروع تنتسب الى جنسية معينة ، والرؤساء المشرفون على المشروع ينتسبون الى جنسية أخرى ، وربما تكون هناك احتمالات نشوء نوع من الحساسية بين الطرفين . كما أن اختلاف التقاليد والعرف قد يتسبب أيضا في قيام بعض المشاكل ، وخاصة سوء الفهم . ولتلافي وقوع مثل هذه الحساسيات ، فقد اتفق الخبراء مع المدير المسئول على تنفيذ الاجراءات التالية :

- تكليف المهندسين والمشرفين بالتواجد في مكان العمل مع الموظفين المكلفين بالتنفيذ طوال ساعات العمل ، وتجنب القبوع في مكاتبهم الا اذا كانت هناك ضرورة حقيقية .

وقد كان في ذلك حافز للعاملين على المثابرة ، وساعد على تصحيح الأخطاء على الفور منذ البداية .

- اصدار نشرة بها كل المعلومات والأخبار التي تهم العاملين في المشروع فزاد بذلك وعيهم وارتفعت معنوياتهم .
- عقد اجتماعات اسبوعية منتظمة للاعلان عن الخطوات التي تمت خلال الأسبوع المنصرم ، والأهداف المطلوب تحقيقها خلال الأسبوع القادم .
- تبادل وجهات النظر بين الادارة والموظفين على مختلف المستويات .

ترى ماذا يكون الحال لو كان المختصون قد اكتفوا بتغطية النواحي الاقتصادية والفنية والقانونية في المشروع ، ونسوا أو تناسوا هذا العنصر الهام : « الاتصالات الانسانية » ؟ لقد كان من الممكن ، ولا شك ، أن يؤدي اغفاله أو سوء معالجته الى نتائج غير مرغوب فيها .

ولكن ما هي أبعاد هذه الاتصالات الانسانية في المجال الصناعي ؟ وما هي أركانها ؟

يمكننا القول ان من أهم الأركان التي تقوم عليها هذه الاتصالات أمرين :

المعلومات التي تقدمها الادارة الى الموظفين ، والمعلومات التي يود الموظفون الحصول عليها من الادارة .

وهناك بطبيعة الحال ارتباط وثيق بينهما ، لأن المعلومات التي تقدمها الادارة ينبغي أن يكون لها علاقة بالمعلومات التي يطلبها الموظفون ، وبالعكس أيضا تكون المعلومات التي يطلبها الموظفون وثيقة الصلة بالمعلومات التي تقدمها الادارة اليهم .

والسؤال الذي يواجهنا الآن هو : كيف يمكن التعرف الى الموضوعات التي تهم الموظفين ، حتى تكون للمعلومات التي تقدمها الادارة اليهم علاقة بهذه الموضوعات ؟

والاجابة عن ذلك تنحصر في سؤال الموظفين أنفسهم عن طبيعة المعلومات التي يرغبون في الحصول عليها وعما يهمهم من شؤون .

رأي قديم

ان الفيلسوف الاغريقي القديم لم يبتعد كثيرا عن الحقيقة عندما قال : « ان الانسان مقياس كل شيء » ، فما زالت المسائل التي تهم الموظف وتستأثر بعنايته في المحل الأول هي التي تؤثر عليه وعلى مصالحه الخاصة ، مهما بلغت درجة وعيه وثقافته . ويلي هذه المسائل منتجات الشركة ومشروعاتها ومبيعاتها وميزانياتها وسياستها العامة وغير ذلك .

وهذه النقطة تذكرنا بركن جديد من أركان الاتصالات وهو : المعلومات التي لا يطلبها العاملون ولا يبدون اهتماما كافيا بها على الرغم من أهميتها في العمل . وهنا تتدخل سياسة الاتصالات الداخلية البارعة وتصطنع من الوسائل والأساليب ما يكفل اثارة انتباههم لها ، وحملهم على التفكير فيها ، ودفعهم الى طلبها . أما الاكتفاء بمجرد تقديمها قبل تهيئة الجو الصالح لها فعمل مقضي عليه بالفشل .

تحليل احتياجات المؤسسة ودراسة النظام القائم

ان مهمة الاتصالات أو الأعلام ليست مجرد تقديم معلومات ، حتى ولو كانت نافعة أو صحيحة ، وانما تتعداها الى وجوب دراسة احتياجات المؤسسة في كل مرحلة من مراحل حياتها ، وتحديد الأهداف المرغوبة ، واختيار الموقف المناسب والأسلوب الملائم من عامة الوجوه .

على أن هناك اجماعا بين الخبراء على أن الخطوة الأولى ينبغي أن تكون محصورة في دراسة نظام الاتصالات القائم وتحديد الثغرات أو نقط الضعف فيه . وأن تشمل هذه الدراسة استعراضا وافيا للمشاكل القائمة والاتفاق على أحقها بالمعالجة والعناية .

وهناك مشاكل تقليدية لها علاقة بمهمة الاتصال لا تخلو مؤسسة من المؤسسات من مواجهة بعضها، منها ما يلي :

- عدم ادراك الادارة العليا في المؤسسة أن عملية الاتصالات نابعة من صميم مسئولياتها .
- عدم توفر القدر الكافي من المعلومات عن متاعب الموظفين ومشاكلهم ، لدى الادارة العليا .
- خوف الموظفين من الاستغناء عن خدماتهم نتيجة لعدم تنمية شعورهم بالانتماء الى المؤسسة التي يعملون بها .
- عدم معرفة الموظفين للموقف المالي والاقتصادي للمؤسسة معرفة كاملة .
- عدم اهتمام الموظفين بصناديق الاقتراحات .
- عدم التعريف بالخدمات الاجتماعية والترفيهية التي تقدمها المؤسسة لموظفيها ، وبالتالي عدم تقدير الموظفين اياها .
- أخبار المؤسسة ومشروعاتها لا تصل الى الموظفين كما يجب .
- عدم معرفة الهيكل التنظيمي للمؤسسة وعدم معرفة أعمالها والمسؤولين فيها معرفة تامة .
- عدم تقديم معلومات كافية عن المؤسسة الى الموظفين الجدد .
- اعتبار الموظفين النشرة الصادرة عن المؤسسة بأنها مجلة الادارة ، بينما يعتبرها المسؤولون بأنها مجلة الموظفين .
- عدم وجود تمييز واضح بين المعلومات التي يطالب الموظفون الالمام بها والمعلومات التي يحتاجون اليها .

ان مراجعة هذه الثغرات تحدد لنا الخطوة الأولى لعمل خبير الاتصالات ، وهي التعرف الى المشاكل التي تعاني منها مؤسسته ، وتحديد أحقها بالدراسة والعلاج الناجز . أي عليه أن يقوم بعمل «أولويات» وأن يقصر عنايته على معالجة مشكلة محددة في وقت محدد . أما اذا حاول معالجة المشاكل كلها دفعة واحدة فقد يتعذر عليه في هذه الحال معالجتها على نحو مرض .

فاذا اطمأن خبير الاتصالات الى أنه قد حدد أهدافه بوضوح ، انتقل بعد ذلك مباشرة الى الاتصال بالادارة العليا بالمؤسسة للحصول على تأييدها ، والتأكد من تقديرها للموقف واقناعها بوجود المشكلة ، ووجوب معالجتها .

ثم يقوم الخبير بعد ذلك بالاتصال بالادارة الوسطى ، ولا شك أن مهمته معها تكون هينة اذا كان قد حقق نجاحا في الحصول على تأييد الادارة العليا . ولقد تبين للمعهد القومي لعلم النفس في بريطانيا أن موقف الادارة الوسطى في مثل هذه المناسبات لا يعدو أن يكون محاكاة لموقف الادارة العليا .

وفي الوقت ذاته يحث الادارة الوسطى على الاهتمام بمشاكل الموظفين العامة والخاصة . وفي هذه المرحلة من عمله ، سوف يصادف الخبير رؤساء يميلون بطبيعتهم الى الصمت ، ولا يتحدثون عن أعمالهم ومشروعاتهم ظنا منهم أنها أسرار لا يصح افشاؤها ، أو لأنهم لا يملكون موهبة الجماعات والاندماج بين الناس، وسوف يضطر الى تشجيعهم بمختلف الوسائل ، وقد يكون من بين هذه الوسائل أن يضرب لهم المثل ببعض أعضاء الادارة العليا .

يلي ذلك أن يطمئن الموظفين الى أن برنامجه قد حظي بموافقة كبار المسئولين في المؤسسة .

عقبات في الطريق

من المتفق عليه أن مهمة «الاتصالات الداخلية» ليس مقصورة على ادارة واحدة أو قسم واحد وانما يسهم فيها جميع المدراء والرؤساء على اختلاف مستوياتهم . وقد تكون الادارة مخلصة في رغبتها في القيام بمسئولياتها في هذه الناحية على الوجه الأكمل ، ولكن سوء التنظيم يتسبب في افساد العمل . مثال ذلك أن يكون المدير مكلفا بالاشراف على عدد كبير من المساعدين مما يتعذر عليه أن يكون على اتصال منظم بهم يكفل له أحاطتهم جميعا بالمعلومات اللازمة ، والاستماع الى وجهات نظرهم ، والتعرف الى مشاكلهم . وهنا تتحول مشكلة الاتصالات الى مشكلة تنظيم . وهذا ما حدث بالضبط لأحد الباحثين الأمريكيين ، فقد بدأ دراساته تحت عنوان « مشاكل الاتصالات » ، فوجد نفسه في نهاية الأمر مضطرا الى تسميتها « مشاكل التنظيم » .

ومن العقبات التي يواجهها الخبير في عمله ، مشكلة المدير الذي لا يؤمن بمبدأ تفويض السلطات ، ويعجز عن تطبيقه .

على أننا في هذا الصدد لا بأس من أن نستطرد في الاشارة الى مبدأ تسلسل القيادة مبينين أن التمسك به لا يعني حرمان المسؤول الكبير من الاتصال بصغار العاملين . فقد ثبت أن في تشجيعه على ذلك فائدة مزدوجة تتمثل فيما يلي :

- اتاحة الفرصة لصغار الموظفين للتعبير عن مشاكلهم ووجهات نظرهم، وزيادة ثقتهم بأنفسهم .
- تخلص المسئول الكبير من وطأة الروتين ورتابة الرسميات .

من البديهي أن برنامج الاتصالات يتناول في المقام الأول توضيح أبعاد سياسات المؤسسة ومشروعاتها . وقد يقترح الخبير اصدار بعض المطبوعات أو الكتيبات الأنيقة التي تتضمن بعض هذه المسائل ، وأن تكون هذه المطبوعات مزودة بالصور الجذابة والرسوم البيانية . وهنا يترتب عليه أن يسجل سياسة المؤسسة ومشروعاتها ، وشروط العمل بها ، ثم يصدر منها ما يراه مطلوبا في حينه ، وفي الصورة المناسبة .

كما أن عليه أن يستخدم أكثر من وسيلة واحدة لابراز نواحي الموضوع الواحد . فقد يقرر اصدار كتيب خاص لبيان الموقف المالي للمؤسسة ثم يتبع الكتيب بندوة عامة في قاعة المحاضرات يديرها المدير المالي . وقد يلقي رئيس مجلس الادارة خطابا في حفل عام ثم يتبع ذلك مقال حول الموضوع نفسه ينشر في مجلة المؤسسة .

والحديث عن الأعمال والسياسات العملية أمر جوهري ولا شك . على أننا ينبغي أن نتذكر دائما أن « للجوانب الانسانية » أهميتها الخاصة فنخصها بالعناية في الوقت نفسه ونحرص في مجلة المؤسسة مثلا على تقديم المسؤولين والموظفين ، والتحدث عن شخصياتهم وحياتهم من غير غلو يدفع بعض الموظفين أحيانا الى اتهام المجلة بأنها أداة للدعاية لهم .

ويدخل في باب الاهتمام باللمسات الانسانية تشجيع المسؤولين على لقاء الموظفين في الحفلات العامة، والمناسبات الاجتماعية ، للتحدث اليهم . صحيح أن وقت المدراء ضيق ، وقد يتحرج بعضهم من حضور المناسبات

العامة التي قد يرى أنها لا تتصل بسبب بعمله الفني ، ولكن التجارب والبحوث قد أكدت أن هذه التضحية لا بد منها ، ولا بديل لها ، وأن الاتصالات الشخصية الودية بين المسؤولين والموظفين خارج نطاق العمل الرتيب أمر لا مفر منه .

هذا ، وان مبدأ « خير الأمور الوسط » أمر ينبغي مراعاته في مهمة الاتصالات ، شأنها في ذلك شأن أي عمل آخر ، ومن هنا ينبغي أن تكون المعلومات التي تقدم للموظفين ليست أقل من اللازم ولا أكثر منه.

الصلة بين الاتصالات والتدريب

وهناك ، ولا شك ، أهداف مشتركة ووسائل واحدة تجمع بين الاتصالات والتدريب . ومن هنا بات من الواجب أن يكون التعاون وثيقا ، والمجهود منسقا بين الطرفين ، بل أن بعض برامج التدريب قد تخدم أهداف الاتصالات أكثر من خدمتها لرسالة التدريب ، كما أن الجو الاجتماعي الذي يسود بعض برامج التدريب يعد ميدانا ملائما لعملية الاتصالات .

وما يقال عن التدريب يمكن أن يقال كذلك عن العلاقات العامة ، والاعلان ، والتنظيم ، والعلاقات الصناعية ، وغير ذلك من الادارات التي تعمل في ميدان العلاقات الانسانية بالمعنى الواسع . بل قد يستدعي الأمر استحداث وسائل جديدة في الاتصالات ، والاستعانة بخبراء مختلفين ، فالمرونة أمر جوهري في هذا العمل .

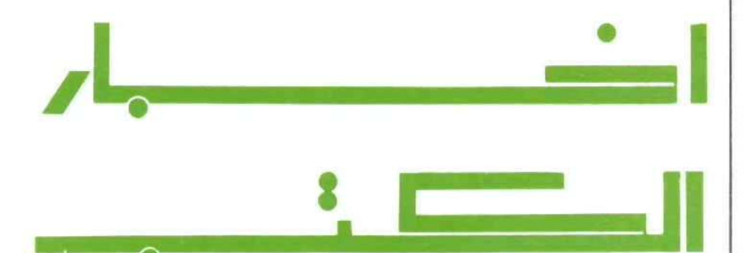
ومما لا شك فيه أن على رجل الاتصالات أن يراجع أعماله من وقت لآخر بعين الناقد محاولا التوصل الى مقدار تأثيرها وفعاليتها ، ونصيبها من النجاح ، وأن يكون لديه من الذكاء وسرعة الخاطر ما يكفل له تعديل خطته تبعا لما يقتضيه الموقف الجديد .

كلمة أخيرة

قد يكون من المفيد أن نلخص برنامج الاتصالات في الخطوات التالية :

- مراجعة النظام القائم ودراسة مواطن الضعف فيه .
- اعطاء الأولوية لأحق المشاكل بالمعالجة أولا .
- الاتصال بالادارة العليا والحصول على تأييدها .
- اقناع الادارة العليا بأن الاتصالات نابعة من صميم مسئوليتها .
- مراجعة الهيكل التنظيمي للمؤسسة والتأكد من خلوه من الثغرات التي تعوق الاتصالات .
- الاستفادة من برامج التدريب .
- الاتصال بسائر الموظفين لتعريفهم بأهداف البرنامج .
- العمل على تعريف الموظفين بكبار المسئولين في المؤسسة .
- توضيح أبعاد سياسة المؤسسة ، وشروط العمل بها ، والخدمات الاجتماعية والترفيهية توطئة لاصدارها في مطبوعات مختلفة .
- التعرف الى احتياجات الموظفين ومشاكلهم ومواقفهم من المسائل العامة .
- استخدام كل وسائل الاتصالات والنشر المعروفة .
- الاستفادة من خبرات رجال العلاقات العامة والاعلان والعلاقات الصناعية .
- استحداث وسائل اتصالات جديدة اذا لزم الأمر .
- النقد الذاتي والمراجعة والعمل على سد الثغرات التي تتخلل البرنامج ■

محمد رمضان علي — القاهرة



* أعاد الشاعر العلامة الأستاذ حسن كامل الصيرفي طبع الجزء الأول من « ديوان البحتري » صارفا جهدا اضافيا في مراجعة مادته وتحقيق ألفاظه والتوسع في شروحه مستأنسا في ذلك بالجديد من مطالعاته لشعر البحتري ودارسيه . وقد صدرت الطبعة الجديدة في سلسلة « ذخائر العرب » لدار المعارف وقاربت صفحاتها ٦٥٠ صفحة .

وفي الوقت عينه يعكف الأستاذ الصيرفي على انجاز الجزء الخامس من هذا الديوان الذي به يكتمل هذا العمل العلمي . ويضم هذا الجزء فهارس موسعة للديوان واعلامه وقوافيه وموضوعاته وتواريخ قصائده ومناسباتها وما الى ذلك مما يعين الباحث .

* ومن الكتب الجديدة التي صدرت في باب التراث : الجزء الحادي والعشرون من «كتاب الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني . وقد حققه الشاعر الراحل محمود غنيم والأستاذ عبد الكريم العزباوي باشراف العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

كما صدر للأصبهاني كتاب « أدب الغرباء » بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ونشر دار الكتاب الجديد ببيروت .

وحقق العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور كتاب «سرقات المتنبي» لابن بسام وصدر عن الدار التونسية للنشر ، وحقق الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاب « التعليقات » لابن سينا ونشرته الهيئة العامة للكتاب ، وحقق الدكتور محسن غياض ما جمعه من « شعر الحسين بن مطير الأسدي » ونشرته وزارة الأعلام العراقية ، وحقق الأستاذ محمد مرسي الخولي كتاب « البرصان والعرجان والعميان والحولان » لأبي عثمان الجاحظ ونشرته دار الاعتصام .

* أما الكتب الدينية التي حققت فمنها : « معرفة السنة والآثار » لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي وقد حققه الأستاذ السيد صقر ونشره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، والجزء الثالث من « معاني القرآن » لأبي زكريا ويحيي بن زياد وقد حققه الدكتور عبد الفتاح شلبي وراجعه الأستاذ علي النجدي وصدر عن الهيئة العامة للكتاب ، والجزء الأول من «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » للامام محمد بن يوسف الصالحي الشامي وتحقيق لجنة من الأساتذة ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

* احتفت الدوائر الأدبية بصدور الجزء الأول من « ديوان صيدح » للشاعر المهجري الكبير الأستاذ جورج صيدح ، وقد سماه صاحبه « حكاية مغترب » وسجل فيه شعره في ديار هجرته وحكاياته مع مجتمعات المغتربين وأدباء المهجر . وطبع هذا الجزء طباعة فاخرة في مطبعة الامان بدرعون ، لبنان . وتتتابع الأجزاء الثلاثة الباقية لديوان صيدح ، وكل منها يختص بموضوع برأسه .

ويصدر قريبا ديوانان مهجريان جديدان هما « ديوان نعمة الحاج » للشاعر المقيم في أمريكا الشمالية وديوان « أوتار القلوب » للشاعر نبيه سلامه المقيم في أمريكا الجنوبية .

ومن الدواوين الجديدة : « ملحمة أرض الفداء » للأستاذ عبد الكريم مراد نشر مؤسسة تلستار للأعلام بالكويت ، وديوان «أحلام السراب » للأديب الشاعر الناثر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي من مطبوعات مطابع حي الأزهر ، وديوان « الشارع ، المدينة ، الرقم » للآنسة هدى أديب من مطبوعات مطابع المؤسسة التجارية في بيروت .

* صدر للدكتور ممدوح حقي « معجم المصطلحات الحقوقية والتجارية » في قسمين : فرنسي/ عربي ، وعربي/فرنسي ونشرهما مكتب التعريف في الرباط .

ويصدر قريبا للدكتور حقي كتاب « ١١٠٠ مثل مقارن » وقد جمع فيه المؤلف عددا كبيرا من الأمثال الانكليزية وما يقابلها باللغة العربية ، وعلق عليها تعليقات بصيرة .

ومن كتب المراجع التي صدرت طبعة مصورة بالأوفست من « معجم المطبوعات العربية والمعربة » للمرحوم يوسف اليان سركيس وقد نشرتها مكتبة المثنى بالعراق .

* « ثقافتنا في خمسين عاما » عنوان كتاب جامع جديد صدر عن دائرة الثقافة والفنون بالأردن ، واشترك في اعداد فصوله ثمانية من أعلام الفكر في الأردن . فبعد مقدمة للأستاذ عبد الرحيم عمر ، توالت فصول الكتاب ، فكتب الأستاذ محمود العابدي فصلا عن « التاريخ والآثار » والدكتور هاشم ياغي عن « الشعر » والأستاذ محمود سيف الدين الايراني عن « القصة » والدكتور عبد الرحمن ياغي عن « المسرح » والأستاذ عيسى الناعوري عن « النثر » والأستاذ هاني العمد عن « الفولكلور في الضفة الشرقية » والأستاذ نمر سرحان عن « الفولكلور في الضفة الغربية » والأستاذ توفيق النمري عن « الموسيقى والغناء » .

* وأصدر المؤرخ الأستاذ محمد أديب العامري كتاب « عروبة فلسطين في التاريخ » بمقدمة للدكتور ديمتري برامكي ونشرته المكتبة العصرية بصيدا .

* ومن الدراسات الأدبية الجديدة : « مصطلحات بلاغية » للدكتور أحمد مطلوب نشر مطبعة العاني ببغداد ، و « المرأة في القصة العراقية » للأستاذ شجاع مسلم العاني ، و « مرايا على الطريق » للأستاذ عبد الجبار عباس وكلا الكتابين من نشر وزارة الأعلام العراقية .

* صدرت للكاتبة الأديبة السيدة جميلة العلايلي مجموعة جميلة من الأقاصيص عنوانها « الناسكة » ، نشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وفي الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : « انشودة البساطة » للأستاذ يحيى حنفي نشر دار الكتاب الجديد ، ومسرحيتا « مهاجر بريسبان » و « البنفسج » وقد صدرتا في مجلد واحد مترجمتين عن الفرنسية بقلم الأستاذ أدونيس ونشرتهما وزارة الأعلام الكويتية . وأصدرت دار الكتاب الجديد ترجمتين لروايتين للكاتبة البوليسية المعروفة أجاثا كريستي وهما : « الجريمة المعقدة » وقد ترجمها الأستاذ محمد عبد المنعم جلال ، و « مغامرة في الأدغال » وقد ترجمها الأستاذ صادق راشد .

* من كتب السير والتراجم التي صدرت أخيرا : « الجواهري شاعر العربية » وقد صدر منه الجزء الاول بقلم الأستاذ عبدالكريم الدجيلي ، وطبع في النجف ، و « صفحات ضائعة من حياة بيرم التونسي » للأستاذ كمال سعد وقد صدر عن المكتبة العصرية ببيروت (وقد سبق للأستاذ ميلاد واصف أن أصدر كتابا كبيرا عن حياة بيرم التونسي) ، وكتاب « نجيب الريحاني وتطور الكوميديا في مصر » للدكتورة ليلى نسيم أبو سيف وقد نشرته دار المعارف ، و « أبو الحسن الشاذلي » للدكتور عبد الحليم محمود وقد نشرته دار الاسلام بالقاهرة .

* من الكتب الاسلامية التي صدرت أخيرا : « النظام المالي الاسلامي المقارن » للدكتور بدوي عبد اللطيف ، و « الكفاح ضد الجريمة في الاسلام » للمستشار الأستاذ محمد ماهر حسن ، وكلا الكتابين من نشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية . وأصدر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر كتابي : « الاسلام وبناء المجتمع الفاضل » للدكتور يوسف عبد الهادي الشال ، و « أضواء على الهجرة » للأستاذ توفيق سبع وقد قدم للكتابين الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار .

* أصدر الصحفي اللبناني الأستاذ جورج عارج سعادة ثلاثة أجزاء من كتابه « الموسوعة الصحافية » أرخ فيها للصحافة في لبنان . والكتاب من منشورات دار الحديث بلبنان .

* كتاب للعلوم الادارية صدر أخيرا بعنوان « منهج تحليلي للادارة والأفراد » من تأليف الدكتور علي عبد الوهاب ونشر مكتبة عين شمس .

* « الأدب الفكاهي العاملي » كتاب طريف جمع فيه الشيخ علي مروة طائفة كبيرة من الفكاهات والنوادر الأدبية وقد طبع في بيروت .

* مجموعة غير قليلة من الكتب صدرت في الادب الروائي بألوانه المختلفة . ففي الأقصوصة صدرت مجموعة « عودة الفنان » و « قصص أخرى » للأديب الراحل الأستاذ محمد طلبه رزق ونشر الهيئة العامة للكتاب و « قصص مختارة من الأدب العالمي » ترجمة الأستاذ بهاء أنيس ونشر مطبوعات مجلة الجديد و « قصص قصيرة جدا » للأستاذ فتحي الابياري ونشر دار الكتب الجامعية بالاسكندرية . وفي الرواية ظهرت « قضية تاجر وأديب » للأستاذ الياس عكاوي ، و « الزوجة الغاضبة » لبيرل بك ترجمة الأستاذ محمود مسعود ونشر دار الكتاب الجديد ، و « على الدنيا السلام » للأستاذ ذو النون أيوب ونشر دار العودة ، و « الضحية القاتلة » لاجاثا كريستي وترجمة الأستاذ صلاح الدين الطنطاوي ونشر دار الكتاب الجديد .

أما المسرحيات ، فقد ظهر منها كتابان هما « مسرحيات اذاعية » من تأليف كوبر وبيرمانج وتشرشل وشارب وتقديم ايرفنج وردل ، وقد ترجمها الأستاذ مازن حماد وراجعها الدكتور محمد اسماعيل موافي ، و « من الأعمال المختارة لجان جيرودو » من ترجمة الأستاذ يوسف محمد رضا ومراجعة الدكتور محمد القصاص . وصدر الكتابان عن وزارة الأعلام في الكويت .

* ظهر للأستاذ ابراهيم عبد الكريم كتاب « البحرين وأهميتها بين الامارات العربية » .

* كتابان عن المخاطر صدرا أخيرا هما « الخطر والتأمين » للدكتور سلامة عبد الله سلامة ونشر دار النهضة العربية و « كيف يقي العامل مصنعه من أخطار الحريق » للأستاذ محمد أنور الصراف .

* ترجم الأستاذان محمد مزالي والبشير بن سلامة كتاب « المعمرون الفرنسيون » و « حركة الشباب التونسي » عن شارل أندري جوليان ونشرته الدار التونسية للنشر .

* صدر للصحفي الأستاذ مصطفى بهجت بدوي كتاب بعنوان « رحلات جادة مرحة » نشرته دار الجمهورية وسجل منه تجاربه المختلفة في أسفاره .

* « كيف نجحوا » عنوان كتاب للأستاذ ايليا حليم حنا قدم له الدكتور عطية مصطفى مشرفة وصدر عن مركز كتب الشرق الأوسط ■

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

* الطبعة الأولى من كتاب « التعليم في مكة والمدينة .. آخر العهد العثماني » للدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ ، الأستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة الرياض .. وهي دراسة تناول فيها المؤلف الحقائق والمعلومات عن الحركة العلمية في مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما من بلدان ولاية الحجاز في الفترة الواقعة ما بين عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) وعام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) .. وهي مدعمة بالنصوص التعليمية وباستشهادات بأقوال من عاصروا التعليم في تلك الحقبة .. والكتاب مقسم الى ستة فصول ومزود بثبت بالمصادر والمراجع التي اعتمدها المؤلف ، وبفهارس لرجال التعليم والمدارس ومراكز التعليم الواردة فيه .. وهو يقع في نحو ١٨٤ صفحة من الورق الصقيل ، وقد طبع على المطابع الأهلية للأوفست بالرياض .

* « الدراسات القرآنية المعاصرة » وهو بحث مطول أعده الطالب محمد بن عبد العزيز السديس وقدمه لنيل الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض فحاز درجة الامتياز في العام الدراسي ١٣٩١–١٣٩٢ وقد صدر هذا البحث باشراف الأستاذ الشيخ مناع القطان .. وطبعته الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالرياض . ويقع البحث في نحو ٦٠٠ صفحة من الورق الصقيل ، وهو مزود بالمراجع والمحتويات التي اعتمدها الطالب في اعداده ..

* العدد الثامن من مجلة « رسالة المعاهد العلمية » ، وهي مجلة دورية تصدر عن معهد الرياض العلمي التابع للرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية ، وتعنى بالبحوث الدينية والتربوية والفكرية والثقافية . ويشترك في اعدادها وتحريرها نخبة من أساتذة المعهد وطلابه ..

* « عثرات المنجد في الأدب والعلوم والأعلام » للأستاذ ابراهيم القطان ، وهو كتاب قيم ينقد فيه المؤلف ألفين وأربعمائة وأربعاً وثلاثين مادة في طبعات المنجد الثلاث .. ويستشهد المؤلف بمائة وتسعين مرجعا تاريخيا وأدبيا ولغويا ونفسيا لاثبات صحة ما أورده من عثرات المنجد اللغوية والتاريخية .. وقد صدر الكتاب بمقدمة للعلامة محمد العدناني الذي يعكف حاليا على اعداد كتابه « معجم الأخطاء الشائعة » . والكتاب مذيل بثبت في المصادر التي اعتمدها المؤلف ، وقد عنيت بطبعه ونشره دار القرآن الكريم بالكويت ■

تطور وسائل تعبئة الطائرات بالوقود

لعب البترول ، ولا شك ، دورا بارزا في ارساء دعائم الصناعة الحديثة حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم من تطور وازدهار . ومن تلك الصناعات الرائدة ، التي كان للبترول دور كبير في دفع عجلاتها ، صناعة الطائرات التي حدت برجال الزيت الى تطوير أصناف من الوقود والمحروقات ذات مواصفات عالية تواكب التطور السريع الذي عاشه عالم الطيران ويعيشه منذ عهد الطائرات ذات المحرك الواحد حتى عصر « الجامبو » ، و « الكونكورد » .

تاريخ الطيران

الطيران حلم راود الانسان منذ عهود مغرقة في القدم . ورغم المحاولات التي قام بها أفراد من مختلف الأمم في أزمان متباعدة ، الا أن تلك المحاولات قد باءت بالفشل . وتذكر أساطير الاغريق القدماء أن « ديدالوس » وابنه « ايكاروس » قاما بمحاولة للطيران لم تكلل بالنجاح .. وقد ظلت تلك المحاولة مدار حديث وتندر بين الناس لفترة طويلة من الزمن .

وفي القرن التاسع الميلادي قام « عباس ابن فرناس » العربي بمحاولة للطيران عندما ارتدى كساء من الريش وقفز من مرتفع عال ، وطار بضع ثوان ثم هوى . ومرت الأيام وكرت وأخذت محاولات الطيران تترى على أيدي عدد من العلماء أمثال « روجر بيكون » العالم الانكليزي في القرن الثالث عشر ، والمخترع الايطالي « ليوناردو دافنشي » في القرن الرابع عشر ، غير أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ولم يكتب لها النجاح الا في أواخر القرن الثامن عشر ، عندما نجح الأخوة « مونتجولفر » الفرنسيون بالطيران في منطاد كبير . وفي منتصف القرن التاسع عشر ، استطاع « هنري جيفارد » الفرنسي أن يطير بأول طائرة ذات محرك بخاري ، وكان ذلك ايذانا ببدء عهد الملاحة الجوية بمعناها الصحيح .

وفي عام ١٩٠٣م ، استعمل الأخوان « رايت » أول محرك يعمل بالبنزين في الطائرات ، وكان ذلك أكبر نصر يحققه الانسان في هذا الميدان . ومنذ ذلك الحين توالت التحسينات على محركات الطائرات وعلى مواصفات الوقود معا ، حتى أصبح لدى الانسان اليوم طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت ، وبلغ عصر الملاحة الجوية ذروته في العقدين الأخيرين ، حين حقق الانسان أعظم حلم في تاريخه الحضاري فهبط على سطح القمر وعاد منه الى الأرض بسلام ..

الوقود البترولي أساس التطور

ما كان للملاحة الجوية ، وغيرها من الصناعات الحديثة أن تصل الى ما وصلت اليه من تطور وازدهار لولا التطور الكبير الذي أحدثته صناعة الزيت في انتاج أنواع من الوقود ذات كفاءة عالية توائم تصميم الطائرات الضخمة ومتطلباتها . ولا نغالي اذا قلنا أن الوقود كان الحافز الأساسي الذي دفع بهذه الصناعة خطوات جبارة الى الأمام . وليس من شك في أن شركات الزيت العالمية قد أسهمت الى حد كبير في مواكبة تطور الملاحة الجوية ، اذ أخذت تستخدم أحدث الوسائل التقنية والأساليب المتطورة في انتاج أنواع من الوقود تفي بمتطلبات الصناعات الرائدة وهي ، في سبيل ذلك تنفق بسخاء على

احدى طائرات الخطوط الجوية السعودية أثناء تزودها بالوقود من أحد المطارات الدولية في أوروبا .





١ – احدى الطائرات الضخمة تقلع من مطار زوريخ الدولي بعد أن أخذت كفايتها من الوقود .

٢– طائرة تجارية من نـوع «بوينج–٧٤٧» وهي تتخطى قمم جبال الألب في طريقها الى أوروبا .

٣ – تستهلك الطائرات الضخمـة كيات هائلة من الوقود مما حمل المسؤولين عن شؤون التموين في المطارات الدولية على استخدام وسائل تعبئة حديثة قادرة على تلبية مثل هذه المطالب .

الأبحاث والعلوم التي تجريها من أجل تحسين منتجات الزيـت وتطوير مشتقاته العديدة والاستفادة منها في مختلف المجـالات ، ومن بينها وقود الطائرات النفاثة .

هـذا ، وتقوم شركات الزيـت بتقديم الخدمات الواسعة تجـاه انتاج أنواع راقية من وقود الطائرات النفاثة ، وذلك انسجاما مع تطور حركة الملاحـة الجوية العالميـة التي أخـذت تتنامى وتزدهر في السنوات الخمس الأخيرة . فعلى سبيل المثال ، قطعت طائرات النقل الجوي في رحلاتها العالمية خلال عام ١٩٧١ حوالي عشرة بلايين ميل طولي .. أي أكثر من ضعفي المسافة التي قطعتها الطائرات في رحلاتها بين أقطار العالم خلال عام ١٩٦٦ ، وهو العام الذي شهد تحسنا ملحوظا في انتاج الوقود للنفاثات التي تصل بين مختلف القارات في العالم . وتقدم شركات الزيت العالمية خدمات مماثلة للملاحة البحرية ، فهي توفر للسفن والبواخر على اختلاف أنواعها حاجتها من الوقود وزيوت التشحيم وغير ذلك من منتجات الزيت العديدة .

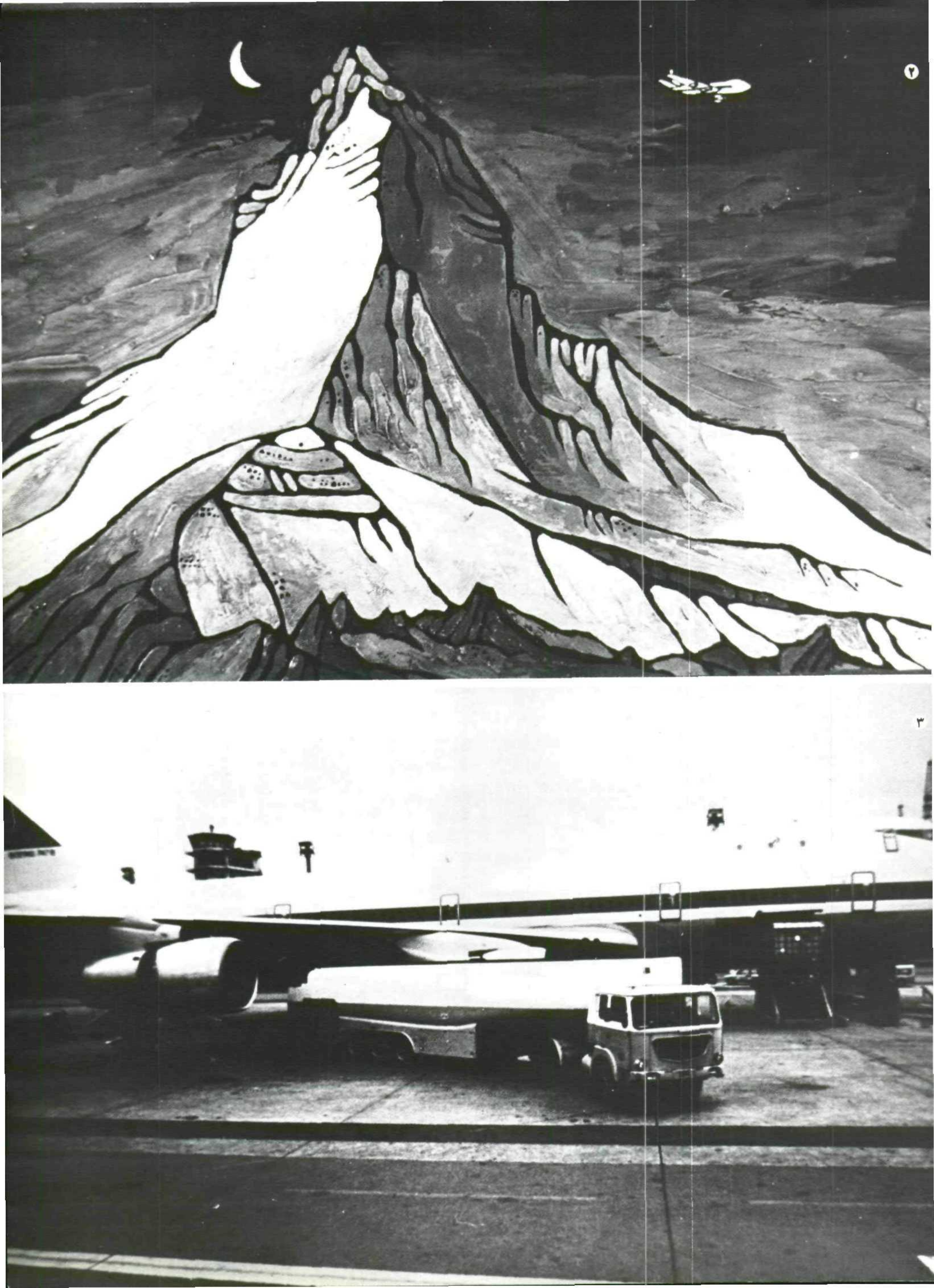
ومع تطور وسائل النقل الجوي في هذا العصر ازدادت الحاجة الى تطوير أنواع مختلفة من الوقود تتفق ومواصفات الطائرات الحديثة ذات السرعة الفائقة ، كما وتفي بمتطلبات محركاتها النفاثة الحديثة. وتشير الاحصاءات الى أن استهلاك العالم من وقود الطائرات وزيوت التشحيم قد ارتفع ارتفاعا كبيرا بحيث بلغ في عام ١٩٧١ أكثر من ٢٢ بليون غالون في اليوم أو ما يعادل مليون ونصف المليون من البراميل .

ليس من العسير شرح الأسباب والدوافع التي أدت الى هذا الارتفاع الهائل في استهلاك وقود الطـائرات ، فمثلا ، تستهلك طائرة « جمبـو – ٧٤٧ » أو « د. سي – ١٠ » أو « ل – ١٠١١ » أربعة آلاف غالون من وقود النفاثات في الساعة الواحدة . وبالمقابل فان احدى طائرات الـ « د.سي – ٣ » التي كانت تعتبر الحصان التجاري في الملاحـة الجوية قبل عصر النفاثات ، تستهلك ١٥٠ غالونا من الوقود في الساعة الواحدة . وبعد أن ظهرت الطائرات النفاثة الى حيز الوجود ثم تلتها طائرات « الجمبو – Jumbo » و « الكونكورد » ، تضاءل الطلب عـلى بنزين الطائرات العادي وتزايد الطلب على وقود النفاثات خلال السنوات الأخيرة .

تقوم شركات الزيت بتزويد الطائرات النفاثة الضخمة بحاجتها من الوقود أثناء هبوطها واقلاعها من المطارات الدولية في رحلاتها عبر القارات ، وهي تتبع في ذلك أحدث الطرق الفنية . فقبل فترة طويلة من وصول احدى هذه الطائرات الضخمة الى أرض المطار ، تقوم السلطات المسؤولة في المطار باعلام قسم التعبئة التابع للشركة ، عن موعد هبوط الطائرة والمكان المعد لوقوفها في المدرج ، وكمية الوقود الذي تحتاج اليه .

وبعد أن تهبط الطائرة وتجثم في المكان المقرر لها فوق أرض المطار ، يبدأ الفريق المكلف بالتعبئة ، بتزويدها بحاجتها من الوقود بشكل دقيق ، وذلك لتمكين الطائرة من استكمال سير رحلتها في أسرع وقت ممكن .

ان تأمين الخدمات اللازمة للجيل الجديد من الطائرات الضخمة قد حدا بشركات الزيت ،


۲
۳

المختصة بتعبئة هذا النوع من الطائرات بالوقود، الى احداث تغييرات شملت الكثير من وسائل التموين . فمثلا مرت فترة كانت خلالها الشاحنات الخاصة بتعبئة الطائرات بالوقود والتي لم تكن سعتها تزيد على سعة خمسة آلاف غالون ، كانت تعتبر من الشاحنات الضخمة، أما اليوم فتوجد ثمة شاحنات للتعبئة تبلغ سعة الواحدة منها حوالي ٢٣ ألف غالون ، وتعمل في عدد من المطارات الدولية التي تحط فيها هذه الطائرات الضخمة . وبالاضافة الى ذلك ، توجد مرافق حديثة للتعبئة ، ذات قدرة عالية، في عـــدد كبير من المطارات العالميـــة التي تستخدمها هذه الطائرات ، الى جانب وسائل للتخزين قادرة على استيعاب وتخزين كميات هائلة من الوقود . ومن تلك المرافق أنابيب ذات أقطار مختلفة تمتد تحت الأرض في المطارات الى حيث تقف الطائرات الضخمة ، وتكون متصلة بأجهزة للضخ من مرافق التخزين مباشرة . ومن شأن هذه المرافق أن تعمل بسرعة وفعالية كبيرة .

هذا وما زال علماء الزيت يواصلون أبحاثهم العلمية الرامية الى تطوير نوعين من وقود الطائرات جرى تصنيعهما مؤخرا ، ويدعى أحدهما «هاي جت – ١١١/HYJET - 111» ويدخل في تركيبه ملح الفوسفات ، وهو سائل هايدروليكي مقاوم للنار . والآخر «زيت المحرك النفاث رقم – ٥/ Jet Engine Oil—5» ، وهو من المركبات التي تستخدم لتشحيم المحركات الطوربينية الغازية . كما أن هناك نوعا جديدا من الوقود الهيدروليكي يعرف بـ« M2—V » جرى تطويره حديثـــا لاستخدامه في طائرة « الكونكورد » البريطانية– الفرنسية الصنع .

وبعد ، فنتيجة لتزايد الطلب على وقود الطائرات النفاثة فان شركات الزيت العالمية لا يسعها الا أن تواصل جهودها وأبحاثها العلمية لتطوير مزيد من أنواع الوقود والمحروقات الملائمة لهذا النوع من الطائرات العملاقة وذلك لمجابهة الزيادة المطردة في الطلب على الوقود في المستقبل ■

اعداد : يعقوب سلام

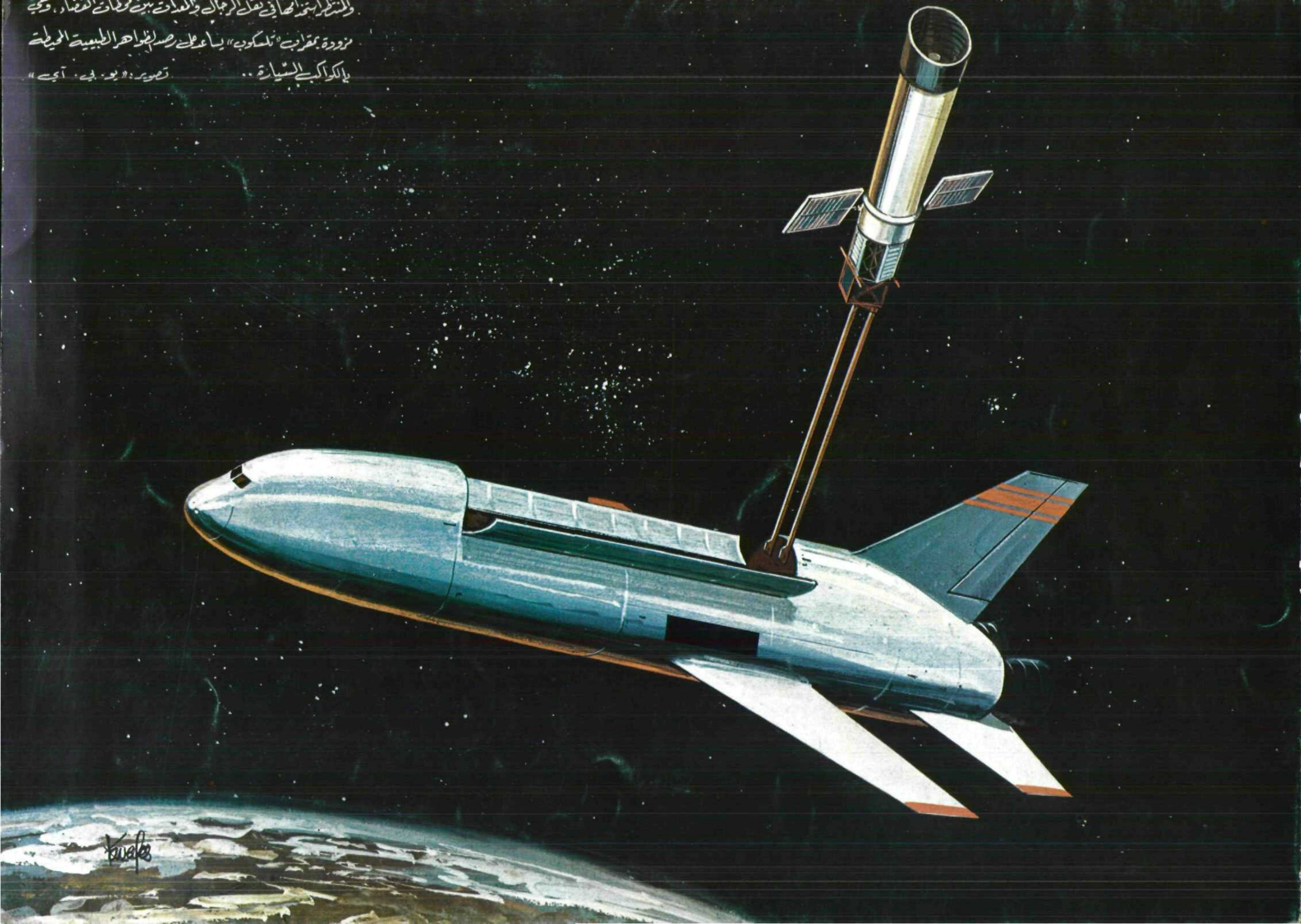
جانب من مرافق معمل التكرير في رأس تنورة حيث يتم في بعض منها تصنيع وقود الطائرات النفاثة .





تطور صناعة الطائرات العملاقة اقتضى انتاج أنواع راقية من الوقود وابتكار وسائل حديثة للتعبئة .

راجع مقال «تطور وسائل تعبئة الطائرات بالوقود»



والمنتظر استخدامها في نقل الرجال والمعدات بين محطات الفضاء، وهي مزودة بمقراب «تلسكوب» يساعد على رصد الظواهر الطبيعية المحيطة بالكواكب السيارة..

تصوير: «يو. بي. آي»